الباب الأول
سيكلوجية الدين والتدين

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) ﴾

(القرآن المجيد : آل عمران {٣} : ٦٩ - ٧١)

صدق الله العظيم

الفصل الأول

الدين بين الحقيقة والوهم والاعتقاد

الدين ــ كما تقول الموسوعات العلمية ــ هو أعظم خاصية للجنس البشـــري .. أو هـــو الفيروس العقلي الذي له خاصية الانتشار الذاتي . وتقول موسوعة الإنكارتا الإلكترونيـــة [1] أن : " **الدّين :** هو ارتباط الإنسان بالمقدس الذي يؤدي إلى الاعتقاد في الحقيقة الروحيـــة .. وهـــو " **ظاهرة عالمية** " لعبت الجزء الهام في كل التراث الإنساني ، وبالتالي فهو أوسع بكثير وأكـــثر تعقيدا من أن يكون مجموعة من الاعتقادات أو الممارسات الموجودة في أي ديانـــة تقليديـــة . **والفهم المعقول للدين يجب أن يأخذ في الاعتبار نوعياته المتميزة وأنماطه المختلفة كشكل من الخبرة الإنسانية** ".

والجدول الموجود في الملحق الرابع من هذا الكتاب يبين للقارئ عـــدد اتبـــاع الديانـــات المختلفة في كل أديان العالم الرئيسية . وعلى الرغم من القيمة الإحصائية لهذا الجـــدول حـــول معرفة عدد أتباع ديانات العالم المختلفة إلا أن قيمته الحقيقية تكمن في الشهادة التي يتضمنها هذا الجدول على وجود الفطرة الدّينية لدى الإنسان .. وأن البشرية على نحو كامل تعبـــد إلـــها مـــا بصورة ما أو بأخرى ..!!!

وكما نرى من هذا الجدول فإن أكثر من ثلث سكان العالم يدين بالمسيحية (بغض النظـــر عن طوائفها المختلفة) .. حيث يوجد العدد الأكبر من اتباعها في دول أمريكا اللاتينية وأغلـــب هذا العدد يتبع الكنيسة الكاثوليكية الرومانية . أما عدد المسلمين فيبلغ حوالي خمس سكان العـــالم يعيش أغلبهم في أجزاء من قارة اسيا .. وخاصة في منطقة الشرق الأوسط . أمـــا " **الديانـــة اليهودية** " فعلى الرغم من أن الغرب يعتبرها من ديانات العالم الرئيســـية (علـــى اعتبـــار أن نصوصها تمثل الجزء الأول من الديانة المسيحية) إلا أن أتباعها أقل من أتباع **كل من** الديانـــة

---

[1] عن : " موسوعة الإنكارتا الإلكترونية : Microsoft Encarta 97, Encyclopedia "

الهندوسية والبوذية .. والديانات الأخرى المتنوعة التي تمارس حاليا في اسيا . أما الملحدون .. واللاأدريون ومن يعتبرون أنفسهم لا يدينون بدين عالمي رئيسي .. فهم يمثلون حوالي ١٣% فقط من تعداد سكان العالم . وقد بينت في مرجع سابق أن هذه الفئة ــ في حقيقة الأمر ــ تمارس طقوسا معينة يمكن أن يدرجها تحت قائمة فئات " التدين المستتر " .

• الفطرة الدينية ..

في الواقع ؛ يمكن تعريف الفطرة : **بأنها الخاصية الذاتية للإنسان التي يخرج بها ــ من المصنع الإلهي ــ عند ولادته والتي تصاحبه على طول حياته** .. مثل : شكله وصفاته وغرائزه كالغريزة الجنسية وغريزة التدين .. وغيرها من الغرائز الأخرى . ومثل هذا الأمر يشبه ــ تماما ــ شكل وصفات .. وخواص ومميزات السيارة .. عند سنة صنعها عند خروجها من المصنع القائم بتصنعها .

ونظرة عابرة على الجدول المذكور ــ في الملحق الرابع ــ تؤكد وجود " **الفطرة الدينية** " لدى الإنسان . حيث لا يعقل أن يكون حوالي ٨٧% من تعداد البشرية بالكامل يدينون بدين ما بشكل واضح وصريح .. ويقومون بممارسة شعائر العبادة بشكل ما أو باخر .. بدون وجود " **فطرة دينية** " لدى الإنسان تدفعه للقيام بهذا . وحتى الملحدون .. ومن يدّعون بأنهم لا يدينون بديانة ما بشكل صريح (أي حوالي الـ ١٣ % المتبقية) ففي الواقع .. هم يؤمنون (أو يدينون) بديانة ما مستترة .. وإن كانوا لا يدركون مثل هذا المعنى . ونذكر من هذه الديانات المستترة ــ على سبيل المثال ــ المذهب العلماني .. **أو** " **العلمانية** " .. **و** " **الماركسية** " .. وغيرها من المذاهب الاجتماعية .. التي تعتبر في جوهرها شكلا من أشكال التدين المستتر [٢] .

وبهذا المعنى تصبح " الفطرة الدينية " لدى الإنسان قضية مقطوع بصحتها (كما توضح هذا القوانين الإحصائية) .. ويمكن تقسيمها إلى ثلاث فطرات أساسية تأتي على النحو التالي :

الفطرة الأولى : وتتمثل في " **إدراك الإنسان لوجود إله خالق له** " .. وتعرف هذه الفطرة أيضا باسم : " الوعي الفطري بوجود الله (ﷻ) " .

---

[٢] " **الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري** " ؛ **نفس المؤلف . مكتبة وهبة .**

والفطرة الثانية : هي الفطرة الخاصة بـــ " **التدين** " .. وهي الفطرة التي تدفع الإنســـان نحـــو ممارسة عبادة " **إله** " ما . وينبغي ملاحظة استقلال الفطرتين كل منهما عن الأخرى . فقد يعتقد الإنسان في وجود " **إله** " ولا يوجد لديه دوافع لعبادته .

أما الفطرة الثالثة : فتتمحور حول البعث والجزاء .. وربما من أقوى مظاهر هذه الفطرة هـــو إدراك الإنسان .. أو إحساسه بأبديته .. أي أنه لن يموت . ويمكن جمع هذه الفطرات الثـــلاث معا تحت اسم واحد هو : " **الفطرة الدينية** " **لدى الإنسان** .

• *الدين بين الحقيقة والوهم والاعتقاد ..*

والان ؛ دعنا نعرج على الفكر الغربي لرؤية حقيقة موقفه من الدين . فـــالواقع أن رؤيـــة الغرب للدين ــ حتى الآن ــ تتراوح بين : " **فكر الوهم** " **و** .. " **فكر الاعتقـــاد** ". بمعنـــى أن الدين من المنظور الغربي هو إما أن يكون : " **قضية وهمية** " مـــن اخـــتراع وصنـــع خيـــال الإنسان .. ولا أساس له في أرض الواقع .. أو أن يكون : " **قضية اعتقاديه** " لا برهان لـــها .. أي أن الدين هو .. قضية يعتقد فيها الإنسان أو لا يعتقد فيها .. ولا يوجد لها برهان يمثل دليـــل الصدق عليها . وبهذا لا يرقى الدين من المنظور الغربي إلى القضايـــا العلميـــة ذات الـــبراهين الراسخة .. كما لا يرقى إلى الحقائق المطلقة التي نراها قي القوانين الفيزيائية والرياضيـــة ..!!! وهو ما يعني أن الغرب مازال يحيا في فترة " الطفولة الدينية " .

أما بعد مجيء الإسلام .. فقد تغير هذا المنظر تماما .. فقد قام الدين الإسلامي بنقل : " **القضيـــة الدينية** " من حيز الوهم والاعتقاد إلى حيز : " **القضايا العلمية الكلية** " ذات البراهين الراســـخة **وبهذا أصبح الدين** : " **قضية مطلقة** " .. **وليس** : " **قضية نسبية** " [٣] . هذا وقد اتبـــع الديـــن الإسلامي المنهاج العلمي الحديث في أشمل وأعم معانيه في البرهنة على صدق القضية الدينيـــة وبالتالي صدق مضامينه . ويأتي هذا المعنى بشكل مباشر .. في قوله تعالى للبشرية جمعاء عـن القران المجيد ..

---

[٣] **سنأتي إلى هذه المعاني في الكتاب الثاني من هذه السلسلة : " التحول في النموذج الديني " .**

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) ﴾

(القران المجيد : النساء {٤} : ١٧٤)

وبديهي كلمة " **برهان** " لا تأتي إلا مقترنة بالنظـــريات العلميـة والرياضيـة أو النظريـات الفيزيائية ذات البراهين المحددة . ويأتي البرهان العلمي في القران المجيد على نحـو البـراهين العلمية المتبعة في النظريات الفيزيائية الكبرى والحديثة .. والتي تأسسـت علـى مفـهوم : " **المُسَلَّمَة العلمية** : **Scientific Postulate** " كما سنري في الكتاب الثاني من هذه السلسلة .

والان ؛ **على الرغم من ظهور فكر " صدام الحضارات "** .. وهو في حقيقة الأمر .. توجه العالم المسيحي ــ صراحة ــ نحو الصراع الديني مع العالم الإسلامي .. بعد أن قـام الغـرب باستبدال العدو التقليدي أي الشيوعية بالإسلام (الإرهابي) .. خصوصا بعد أحـداث الحـادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ .. فقد **ظهر في الأفق** بعض الأصوات التي نادت بضرورة اسـتئناف الحوار بين الأديان الرئيسية .. المسيحية واليهودية والإسلام . وحملت المسيحية (وفي طياتـها اليهودية) أمتعتها ونواياها .. تظهر بعضها وتخفي أكثرها وذهبت لتلتقي مع الآخـر المسـلم المتسم بحسن النوايا .. والمسيطر عليه القهر والضعف .. حـول مائدة حـوار تخفـي خبـث المقامر .

ورفضت المسيحية (وفي طياتها اليهودية) الحـوار في أمور العقيدة بدون إبداء أسباب (كمـا سنرى ذلك لاحقا) .. وقصرت الحوار على السلام فقط وليتها كـانت صادقـة ..!!! وقبـل المسلمون ــ بحسن نواياهم المعهودة ــ الحوار حول فكر السلام فقط بعـد أن فقـدوا رؤيتـهم للتاريخ .. والواقع الحالي وغلفهم الجهل بطبيعة عقيدة المحاور ..!!!

ولا أقصد بذلك رفض الحوار عن السلام .. بل أقصد بذلك ضرورة طرح كل النصوص مـهما كانت (بما في ذلك نصوص الحرب وغدر المحاور) في الديانة اليهودية والمسيحية على مـائدة الحوار .. كمدخل لتجنب الحرب وتحقيق السلام .

وسوف نرى ؛ أن قبول اليهودية والمسيحية للسلام مع الإسلام .. لا يتجاوز معنـاه إلا عن تنازل أهل العقيدتين (اليهودية والمسيحية) عن الإيمان بعقيدتيهما . والسؤال الآن ؛ هل الغرب عنده الاستعداد للتنازل عن الإيمان بنصوص كتابه المقدس .. في سبيل قبول السـلام مع العالم الإسلامي ..؟!!! والإجابة على هـذا السؤال .. هو ما سوف نراه ونناقشـه فـي

الكتاب الثالث (المؤامرة : معركة الأرماجدون وصدام الحضارات) من هذه السلسلة . وسوف نكتفي في هذا الكتاب ببيان طبيعة الدين اليهودي والمسيحي .. ودوافع الإيمان بهما .

• *الدين وتعريفه / المنظور الغربي ..*

ونبدأ هذه الفقرة بالإشارة إلى أن من أشد الأمور غرابة أن يقام الحـــوار ــ الان ــ بيـــن الأديان .. ولا يعرف المتحاورون معنى للدين ..!!! وليس في هذا مبالغة .. أو تجـــاوز .. إذا علمنا أن البشرية لم تتفق بعد على تعريف محدد للدين . **حيث تعترف بهذا صراحة موســـوعة كتاب العالم الأمريكية** .. حين تقول بأنه : " **لا يوجد تعريف بسيط للدين يمكن أن يصف الأديان الكثيرة الموجودة الآن [٤] في العالم** " . وترى الموسوعة أن الدين من منظور الغالبية العظمـــى يعتبر مجموعة منظمة من الاعتقادات والطقوس والممارسات والعبادات التي تدور حول " **إلـــه أسمى** " ومثل هذا المفهوم لا يكفي لإقامة حوار بين الأديان .. لأنه فكر يقر ــ في جوهـــره ــ بتعدد الالهة . نذكر منها على سبيل المثال ؛ أن الإله في الفكر المسيحي هو " **عيسى بن مريم** " والإله في الفكر البوذي هو " **بوذا** " .. والإله في الفكر اليهودي هو " **يهوه** " .. وهكذا . كمـــا وإن لكل " **إله** " ميوله ومزاجه الخاص في اختيار شعبه ..!!! لهذا كان من الضروري بدء هذا الكتاب بعرض مفهوم الدين كما ورد في فكر أو منظور الغـــرب .. وكمـــا يـــأتي بـــه الفكـــر الإسلامي ..

والان إذا ما ذهبنا إلى التعاريف المختلفة ــ والمتفق عليها ــ للدين في الفكـــر الغربـــي ، فإننا نجد أن موسوعة أديان العالم [٥] تتبنى تعريف الدين كما جاء به قاموس أكسفورد ، حيـث يعرف الدين على أنه :

" التسليم أو الاعتراف بوجود قدرة متحكمة فوق بشرية ، وخصوصا الإله ذو الطبيعة الواعية وهذه القدرة تدعى الحق فى إطاعتها "

---

[٤] في الواقع ؛ يوجد أكثر من ٥٠ ديانة على الساحة الفكرية للبشرية . ولرؤية أهم هذه الأديان (٢٣ ديانـــة) من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر أنظر : " الدين والعلم .. وتصور الفكر البشري " / الفصـــل الخـــامس : أديان العالم من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر . نفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

[٥] المرجع الأجنبي هو :

" World Religions, From Ancient History to Present ", Geoffrey Parrinder , New York pp. 9 .

فكما نرى ، فإن هذا التعريف [٦] لا يفيد من قريب أو بعيد فى تحديد طبيعة تلك القـــدرة الفـــوق بشرية وماهيتها ، ولم يقل لنا التعريف ، هل هذه القدرة هى التي خلقت الإنسان ، أم ان الإنسان مخلوق بغيرها . وهل هذه القدرة خالقة ــ بوجه عام ــ أم هى قدرة مخلوقة بدورها . كما لـــم يقل التعريف بوجود أى كمالات لهذه القدرة ، أم إنها قدرة خالية من الكمالات . وطاعـــة هـــذه القدرة ــ كما يبدو من التعريف ــ هى طاعة اختيارية ، وليست ملزمة للإنسان . كما لم يقل لنا التعريف على ماذا نطيع هذه القدرة .

وتعريف الدين على هذا النحو يعطى الشرعية الكاملة لكل الأديان بالتواجد على مســـرح الفكـــر الإنساني ، أو الساحة البشرية بدون استثناء ، لأن جميع الأديان تحقق مضمون هذا التعريـــف . ففي داخل كل دين يقول الأتباع بوجود مثل هذه القدرة المهيمنة ، وبهذا تصبـــح كـــل الأديـــان صحيحة من وجهة نظر هذا التعريف ؛ ولتبق مشكلة تعدد الأديان ــ القضية الأزلية ــ قائمـــة كما هى حتى الان .

أما إذا انتقلنا إلى التعريف الأمريكي للدين كما جاء فى " **قاموس الميراث الأمريكـــي** : **The American Heritage Dictionary** " ، فإننا نجده يقول بأن **الدين** هو :

" الإيمان فى ، والشعور بالورع تجاه قدرة فوق الطبيعة ، يعترف بها بأنها القـــدرة الخالقـــة والمتحكمة فى هذا الكون " [٧]

وربما كان هذا التعريف أكثر تخصيصا من سابقه ، إذ ربط الدين بالإيمان بخـــالق ، وإن هـــذا الخالق هو المتحكم فى الكون . وعلى الرغم من هذا التحديد فى المعنى ، إلا إنـــه لـــم يختلـــف كثيرا عن سابقه . فهو لم يحدد لنا ماهية هذا الخالق وطبيعته . كما وإنه لا يضيف جديدا للفكـــر البشرى تجاه الدين . فالقول بوجود الإله الخالق ، وإن هذا الإله الخالق هو المهيمن علـــى هـــذا الكون ؛ هو قول موجود فى كل الأديان ، والأتباع (أو الشعب) فى كل الأديان يؤمنون بهذا .

---

[٦] **وصياغة هذا التعريف باللغة الإنجليزية هو كالآتي :**

" Belief in and reverence for a supernatural power recognized as the creator and governor of the universe . "

[٧] **وصياغة هذا التعريف باللغة الإنجليزية هو كالآتي :**

" The recognition of superhuman controlling power, and especially of a personal God , entitled to obedience "

بل وسنذهب إلى أبعد من هذا ونقول أن العرب قبل نزول الإسلام ، كانوا قوم شرك ، فقد كانوا يعبدون الأصنام ، وذلك على الرغم من أنهم كانوا يعتقدون فى أن الله (ﷻ) هو الخالق لهم ولهذا الكون .. لقوله تعالى :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٦١) ﴾

(القران المجيد : العنكبوت {٢٩} : ٦١)

[فأنى يؤفكون : فكيف يصرفون عن الحق مع وجود هذا الدليل]

ولكن الأصنام هى التي كانت تعبد وليس الله ، فقد كانوا يعتبرونها الوسيلة التي تقربهم إلى الله وترفع درجتهم ومنزلتهم عنده ، لقوله تعالى :

﴿ .. وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى .. (٣) ﴾

(القرآن المجيد : الزمر {٣٩} : ٣)

[زلفى : قربى ومنزلة وشفاعة لنا في حاجتنا عنده]

وعلى هذا فإن التعريف الأمريكي لا يحدد لنا ديانة ما ، بل حتى لا يستطيع أن يستثنى الفئات المشركة ، وعبدة الأصنام من الانضمام تحت لواء الدين بهذا المفهوم . ولتتساوى إذن الأديان أمام هذا التعريف ، ولتبق مشكلة التعدد (تعدد الأديان) قائمة بلا حل ... !!!

فإذا جئنا إلى تعريف الدين في قاموس وبستر الموسوعي المطول فنجده يأتي على النحو التالي ..

" الدين : هو مجموعة معينة من الاعتقادات الأساسية والممارسات ، التي يتفق عليها بصفة عامة عدد من الأفراد أو الطوائف : مثل الديانة المسيحية " [٨]

---

٨ " قاموس وبستر الموسوعي المطول : **Webester's Encyclopedic Unabridged Dictionary** " . ويأتي التعريف باللغة الإنجليزية كالتالي :

" A specific fundamental set of beliefs and practices generally agreed upon by a number of persons or sects: the Christian religion. "

وهو تعريف مشابه لما قال به كوربت [٩] :

" **الدين هو نظام متكامل من المعتقدات وأسلوب حياة وشعائر ومؤسسات يمكن للأفراد من خلالها أن يعطوا أو يجدوا معنى لحياتهم بالتوجه إلى ــ والالتزام بما ــ يعتبرونه مقدسا أو / له قيمة نهائية** "

وكما نرى من هذا التعريف .. نجد أن الدين مجرد نشاط اجتماعي تتفق عليه الفئة فحسب .. وتحقق لهم رضى ما .. ولا يهم طبيعة المضامين التي يحويها هذا الدين .

وفي الموسوعة البريطانية يأتي تعريف الدين بأنه :

" **علاقة الإنسان بما يعتبره مقدسا أو روحي أو إلهي** "

" Religion: human beings' relation to that which they regard as holy, sacred, spiritual, or divine "

أما قاموس موسوعة كتاب العالم .. فلم يزد تعريف الدين لديه عن ثلاث أو أربع كلمات هي :

" **الدين: الاعتقاد في إله أو آلهة : Religion: belief in God or gods** "

ونلاحظ هنا أن هذا التعريف تجنب ذكر " **قضية خلق الإنسان** " على نحو كلي . بمعنى أنه لم يشر إلى أن الإله قد خلق الإنسان أو حتى الآلهة قد اشتركت في خلقه .. أم أن الإنسان هو مجرد الناتج الطبيعي لوجود القوانين الفيزيائية ..!!! وبهذا التعريف نختم غاية ما انتهى إليه فكر الغرب وفهمه للدين من خلال المعاجم والموسوعات العلمية . وكما نرى هي تعاريف فضفاضة تسمح بانضواء كل الأديان تحت لوائها ..!!!

والان ؛ ما هو تعريف الدين لدى العلماء والفلاسفة ..؟!!! وللإجابة على هذا السؤال .. نبدأ هذه التعاريف بتعريف عالم الاجتماع " **أميل دوركايم** " [١٠] للدين .. الذي يقول فيه :

---

[٩] " الدين والسياسة في الولايات المتحدة / الجزء الأول " ؛ مايكل كوربت ، وجوليا متشل كوربت . ترجمة د. عصام فايز ، د. ناهد وصفي . مكتبة الشروق . ص : ١٢ .

[١٠] أميل دوركايم : Emile Durcheim (١٨٥٨ – ١٩١٧) فيلسوف فرنسي (وهو يهودي الديانة) . أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث .

" ***الدين هو مجموعة متساندة من الاعتقادات والأعمال المتعلقة بالأشياء المقدسة ؛ اعتقادات وأعمال تضم أتباعها فى وحدة معنوية واحدة تسمى الملة*** "

وهو تعريف مشابه إلى حد كبير مع ما جاء به قاموس وبستر الموسوعي على النحو السابق ذكره . وكما نرى ، أن أميل دوركايم ، قد حذف من هذا التعريف فكرة الله تماما ، أو فكرة الخالق من مفهوم الدين ، حيث لم يقل لنا بتعريف ماهية وطبيعة الأشياء المقدسة . وبهذا لا تتساوى الأديان فقط أمام هذا التعريف ، بل يضم هذا التعريف أيضا المذاهب الفكرية الأخرى ، من إلحاد وماركسية وعلمانية ومادية وما إلى ذلك من المذاهب المختلفة (التدين المستتر) ، طالما أن المذهب الفكري يحوى اعتقادا ما لمجموعة من الأفراد التابعين له ، وطالما أنه يمكن إسناد القدسية ــ بالتعريف ــ لهذا الاعتقاد .

أما "**سالمون رينـاك** " ، فالدين عنده :

" ***هو مجموعة من التورعات التي تقف أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا*** "

وهو تعريف أقرب ما يكون للكفر منه للإيمان .. فقد حذف ــ سالمون رينـاك ــ فكرة الإله أو الخالق من الدين ، بل وجعل من الدين قيودا مفروضة على الإنسان ، مما يوحي بضرورة التخلص منه . ولا ندرى ــ من وجهة نظر رينـاك ــ من الذي فرض هذه القيود . هل الإنسان نفسه ، أم أن قوى أخرى علوية هى التي فرضت عليه مثل هذه القيود .

وعموما فإن تعريف الدين لدى كل من **أميل دوركايم** ، **وسالمون رينـاك** يجعل من كل المذاهب الفكرية الأخرى أديانا . وهما بهذا يؤكدان ــ بدون وعي أو فهم ــ على وجود الفطرة الدينية لدى الإنسان .. وعدم قدرته الانفصال عن الدين والتدين . فإن لم يجد الإنسان بغيته المنشودة فى دين ما يرضى ذكاءه وفطرته ، فعليه أن يذهب للبحث عن الدين والتدين فى مذهب فكرى قاصر لعله يملأ الفراغ النفسي الذي يتركه الدين والحاجة للتدين فى النفس الإنسانية .. وهو ما يمثل ــ في النهاية ــ التدين المستتر أو غير الواعي في الفئات الملحدة .. أو التي تدعي بأنها لا تؤمن بدين ما .. على أي نحو أو اخر ..!!!

فإذا انتقلنا إلى الفيلسوف الألماني " **كانط** [11] " فى كتابه " **الدين فى حـــدود العقـــل** " نجـد أن تعريف الدين لديه يقول بأن :

" الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر إلهية "

ولم يحدد لنا " **كانط** " ماهية الأوامر الإلهية . فإن أحسنا الظن ، فربما يقصد الجانب الأخلاقـي فى الدين ، أو الضمير الفطري الأخلاقي فى الإنسان . وفى هذا التعريف لا نجد كلمـة واحـدة قيلت عن الإله ، سواء تعدد أو تنزه أو توحد . وهو بهذا التعريف لم يضف جديدا إلى تعريـف الدين والتدين ، ولم يمنع وثنيات أخرى من أن تنضم إلى الدين . فنحن نعلم أن جميـع الأديـان وثنية كانت أو وضعية ، لابد وأن تشغل الأخلاق حيزا فيها أو جانبا منها .

ويقول " **ماكس ميللر** " [12] فى تعريفه للدين أن :

" الدين هو محاولة تصور مالا يمكن تصوره ، والتعبير عما لا يمكن التعبير عنه ، هو التطلع إلى اللانهائي ، هو حب الله "

كما يقول " **روبرت سبنسر** " ــ بمعنى مشابه لهذا ــ بأن الدين هو :

" الإيمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية "

وربما نلمس فى هذين التعريفين السابقين مسا خفيفا للإدراك الفطري لدى الإنسان عن " وجـود الله " . ولكن هذه الأقوال ليست تعريفا للدين بقدر ما هى انفعال ذاتي " **بالحضرة الإلهيـــة** " .. أو بمعنى اخر الإحساس الفطري بوجود الله فى النفس البشرية . فإذا ما قبلنا بهذه التعريفـــات للدين ، فإننا نستطيع أن نقول بأنها تعاريف غامضة تفرض على معتنقيها أن يؤمنوا بما لا تقبلـه عقولهم ، ولا تتصوره أذهانهم ، وهما بهذا ينفصلان بالعقيدة عن العقل .

وربما كانت هـذه أشهر التعريفات المتاحة للدين لدى الحضارة البشرية . وقد توسعت في عرضها إلى حد ما .. لأؤكد على أن الإنسان قد فشل تماما ــ كما سنرى ــ في تعريف الدين .

---

[11] **عمانويل كانط Immanuel Kant (١٧٢٤ - ١٨٠٤) : فيلسوف ألماني . يعتبره الغرب واحـدا مـن أعظم الفلاسفة فى جميع العصور .**

[12] **فريدريتش ماكس مليز (Friedrich Max Müller) عالم ألماني ظهر في منتصف القرن التاسع عشـر ولقب بـ : " أبو الديانات المقارنة " .**

والآن إذا ما استثنينا تعريف كل من **أميل دوركايم** ، **وسالمون رينـــاك** للديـــن ؛ وهمـــا التعريفان اللذان يسويان بين الأديان والمذاهب الفكرية المختلفة ؛ فإننا نجد من منظور التعريفات المتاحة ، أن كل دين يحوى " الإله الخاص به " أو القوة العليـــا المهيمنـــة الجديـــرة بالعبـــادة والطاعة . وبالتالي فإن الجماعة ليست مضطرة لمغادرة هذا الفكر للبحث عن الإله فـــى ديانـــة أخرى لعبادته . فإذا ما أضفنا إلى ذلك قبول الجماعة لمبدأ الميثولوجـــي (**Mythology**) ، أى أسطورية الدين أو أسطورية الدين والإله معا ، فإن " **القضية الدينية** " تصبح " **قضية غيبية** " تحكمها قوانين ميتافيزيقية (**Metaphysics**) ــ **أي فيما وراء الطبيعة** ــ **ولا تمـــت للواقـــع** الفيزيائي بصلة . وبذلك يصبح الدين من هذا المنظور " **بناء أسطوريا** " متكاملا يرضى العامـــة أو الغالبية البسيطة ، حتى وإن ترك باب الشك والرفض مفتوحا على مصراعيـــه لـــدى القلـــة المفكرة .

ومن جانب اخر ؛ يصبح الانتقال من ديانة إلى ديانة أخرى ــ من الناحيـــة الفكريـــة ــ موضوعا غير ذي قيمة ، فالفكر الأسطوري (أو الميثولوجي) ــ إذا ما استثنينا الإســـلام ــ هو الفكر السائد فى كل الأديان . حتى وإن وجد بعض الخلافات فى بعض المضامين الدينيـــة ، فإنها غالبا ما تكون غير ذات قيمة أو بال أو ما إلى ذلك . وتصبح الدعوة إلى اعتناق دين ما .. كمن **يقايض فكرا أسطوريا بفكر أسطوري آخر** ، ويصبح الموضوع برمتـــه ــ إذن ــ غـــير موضوعي . ومن ثم يصبح الانتقال من ديانة إلى ديانة أخرى ــ من الناحيـــة الاجتماعيـــة ــ مغامرة بلا عائد . وتصبح القدرية هنا ملزمة لفكر الفرد ويصبح من الأمـــان عدم مغادرة الفرد لفكر الجماعة ــ على الأقل ــ لتجنب المشاكل الاجتماعية الناجمة عن هـــذا الانتقـــال ، ونبـــذ المجتمع للفرد .

ولا عجب بعد ذلك أن تصبح الأديان ــ بهذه التعريفات القاصرة ــ كالجزر المستقلة فى محيـط لانهائي من الرؤية الكونية الغامضة .. أو الوجود الغامض ، لا يمكن الربط بينها ، حيث يحوى كل منها الإله المعبود وبعضا من مكارم الأخلاق فى خضم هائل من الوثنيات الفكرية ، وبذلـــك يصبح الفرد أسيرا لوجوده فى الديانة (أيا كانت) منذ ميلاده ، **حيث يفقد التوجه الصحيح إلـــى** " الله " **والذي يعتبر** (**هـــذا التوجه**) ــ **كما سنرى** ــ **العلة الغائية من خلق ووجود الإنســـان وأساس خلاصة ومصيره** .

وليس هذا كل عيوب التعريف القاصر للدين ، بل هناك سمة أخرى لا تقل خطورة عمـــا سبق ذكره ، وهى إيجاز (أو جواز تمرير) الأديان الخاطئة . فـــالتعريف القـــاصر للديـــن لا

يجعل من العسير فقط بل ومن المستحيل أيضا وضع الشروط أو المقاييس (**The measures**) اللازمة لتحديد هوية الديانة الحقة من بين الأديان الباطلة . وعدم وجود مثل هذا المقياس يجعل الحكم على الأديان عشوائيا وشموليا ، حيث تصبح المقارنة بينها دربا من المستحيلات ، طالما لا يوجد المعيار المطلق أو المعيار الصحيح لإدراك الحقيقة فيما بينها . وبهذا يتساوى الخطأ بالصواب ، وتضيع الحقيقة برمتها أو كلية من بين يدي الإنسان ، ليقف الإنسان عاريا تماما .. ووحيدا تماما ... لا يغلفه إلا العجز فى هذا الوجود . **ويحكم مصيره الصدفة البحتة وحدها فى تواجده داخل الديانة الصحيحة منذ ميلاده .**

وكما سنرى إننا كلنا نشارك فى هذه المسئولية ، فالأخوة الإنسانية تحتم علينا ، كما يحتم علينا ذلك " الله " أيضا ، في أن نتساند ــ كما تساندنا فى مجال العلم والتكنولوجيا ــ لإدراك الحقيقة المطلقة .. وعلى الرغم من البساطة الشديدة لإدراك هذه الحقيقة ، إلا إنها بعيدة المنال لعدم إدراك الإنسان للمعنى الحقيقي أو المفهوم الصحيح للدين ، وبالتالي خطؤه فى تعريف وصياغة الدين .

• *الدين وتعريفه من منظور الكتاب المقدس / الديانتان اليهودية والمسيحية ..*

من الأمور الغريبة أن كلمة " **دين : Religion** " بمعنى العقيدة لم يأت ذكرها على نحو مطلق في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد ..!!! فلم ترد كلمة " **دين** " إلا في سياق معنى **الدينونة أو الحكم أو يوم الدين (Day of Judgement)** فقط . ولهذا لا يوجد تعريف للدين من منظور الديانتين اليهودية أو المسيحية ..!!! وهكذا ؛ أغفل الكتاب المقدس تحديد معنى الدين وتخبط الإنسان في تحديد معناه على النحو السابق ذكره في الفقرة السابقة .. وانتهى الحال بالغرب بأنه عجز عن فهم معنى الدين ومعنى دور الدين في حياته حتى الآن ..!!!

• *الدين وتعريفه / المنظور الإسلامي ..*

كما رأينا ؛ أن التعريفات السابقة للدين .. تعكس عدم فهم الإنسان لمعنى الدين حتى الآن حيث أغفلت جميعها دور " الله " (ﷻ) ــ الإله الخالق وصاحب الدور الرئيسي في الدين ومصدره ــ في هذه الصياغة . وبديهي ؛ لا تثريب على الإنسان في هذا . فالواقع أن الله

(ﷻ) لم يؤهل الإنسان (بالفطرة) لمعرفة معنى الدين بشكل مستقل عـــن وجـــوده (ﷻ) **ليجعل من الدين محل اختبار وابتلاء كأساس للغايات من خلق الإنسان** . ولهذا ينحو القـــران المجيد منحى مختلفا تماما عما سبق في مفهوم وتعريف الدين .

ففي الواقع ؛ يرتبط تعريف " **الدين** " في الدين الإسلامي بمفاهيم ثلاثة أساسية هي :

المفهوم الأول : هو مفهوم خاص بوحدانية الخالق وثباته .. وحيث أن الدين مصدره الخالق ، سبحانه وتعالى ، فهذا يعني ــ بالتالي ــ وحدانية الدين وثباته . فلا يوجد من منظور الديانة الإسلامية أديانا ، بل هو دين واحد أوحى به الله (ﷻ) إلى كل أنبيائه ورسله ، كما جاء فـــي قوله تعالى لمحمد (ﷺ) :

﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ (٤٣) ﴾

(القران المجيد : فصلت {٤١} : ٤٣)

أما المفهوم الثاني للدين : فهو مرتبط بالغاية من رسالة الدين . وهذه الغاية تتمثل في تعريـــف الإنسان .. بهذا الخالق المطلق ــ أى تعريف الإنسان بالله ﷻ ــ المتفرد في الكمالات والفعـــل الإلهي . وجميع الديانات ــ عدا الديانة الإسلامية ــ إما تتورط في تعريفات وثنية للإلـــه مثـــل اليهودية والمسيحية (أنظر الباب الثاني من هذا الكتاب) ، أو تغفـــل التعريـــف بالإلـــه تمامـــا كالبوذية والكونفوشية وغيرهما [١٣] .

أما المفهوم الثالث للدين : فهو مرتبط بتعريف .. الإنسان بالغايات من خلقه ، وهو الأمر الذي تخلو منه .. أو تغفله جميع الديانات .

ولهذا يأتي تعريف الدين من المنظور الإسلامي بأنه : " البلاغ الصـــادر عـــن الخـــالق المطلق لهذا الوجود (ويشمل ذلك كوننا هذا والأكوان الأخرى الموازية أو المتراكبة معـــه) لتعريف مخلوقاته (بما في ذلك الإنسان) به (كمالات وفعل) ، وتعريف هـــذه المخلوقـــات بالغايات من خلقها ، وحتمية تحقيق هذه المخلوقات لهذه لغايات " .

---

١٣ " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " ، مكتبة وهبة . القاهرة . / الفصل الخامس : " أديان العـــالم .. من التاريخ القديم وحتى الوقت الحاضر " .

والغايات من الخلق (الإيمان العاقل) يعمل خلفها قوانين سرمدية فيزيائية عليا مغايرة لما نألفه ــ في كوننا هذا ــ ولكن نخضع لها كما تخضع لها الكائنات الأخرى ، سواء أدركنا هذا أم لم ندرك . ويتمثل تحقيق الغايات من الخلق (العمل بالشريعة) .. إلى مغنى وصول هذه الكائنات إلى التناغم المأمول ــ مع الإله الخالق ــ والذي يحقق لها السعادة الأبدية أو السرمدية في أكوان أخرى (لانهائية) مغايرة تحكمها قوانين فيزيائية عليا .. مثل القوانين الفيزيائية التي تحكم كوننا هذا .. إن جاز لنا استخدام مثل هذا التعبير الذي يوحي بتناظر المعاني .

ونلخص هذا المنظور السابق .. ***بأننا إذا قلنا بضرورة وجود الغايات من خلق الإنسان فلابد وأن يكون الدين هو البلاغ الصادر عن الخالق لتعريف الإنسان بهذه الغايات*** .. وتأتي هذه المعاني السابقة عن مفهوم الدين وتعريفه في الديانة الإسلامية في قوله تعالى ..

﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ (٥٢)﴾

(القران المجيد : ابراهيم {١٤} : ٥٢)

فالكتاب المنزل من الله (ﷻ) ــ القرآن المجيد ــ هو بلاغ للناس .. حيث يرتبط هذا البلاغ الإلهي ــ في الديانة الإسلامية ــ بأمور فكرية كثيرة منها الأمور الأربعة التالية :

أولا : **حرية الفرد في الإيمان أو الكفر ..**

﴿ وَقُلْ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. (٢٩)﴾

(القرآن المجيد : الكهف {١٨} : ٢٩)

ومن منظور هذه الاية الكريمة يصبح لا معنى للأسئلة التي أثارها " جراهام فوللر (النائب السابق للمخابرات الأمريكية : **CIA**) مثل : هل يعتقد المسلمون أن الإسلام يجب أن يتصادم مع الكفر ؟ وهل الغرب يمثل الكفر ؟ وهل " الكفر " يشمل المسيحيين واليهود فقط ، أم يشمل المتدينين الهندوس والبوذيين وباقي الأديان أيضا ؟

وللرد على هذه التساؤلات .. أقول بأنه من الأمور البديهية ؛ طالما وأن الله (ﷻ) قد أباح للانسان حرية الإيمان أو الكفر .. فهذا يعني .. أن على المسلمين التعايش السلمي مع الكفار

(من لا يؤمن بإله) .. وأتباع كل الديانات المختلفة .. أي المشركين (من يعتقد في تعدد الالهة أو في إله اخر غير الله ﷻ .. أي الإله الحق) كل على حد سواء . وليس هذا فحسب بل أن المولى (ﷻ) قد فرض على المسلمين أيضا تقديم الحماية للمشركين إذا لجئوا إليهم وطلبوا منهم الأمن والأمان .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ (٦) ﴾

(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ٦)

أي إذا لجأ المشرك إلى المسلم طلبا للحماية من خطر ما .. أي استجار المشرك بالمسلم (لاحظ المصدر من جار .. وما للجار من حقوق) .. فعلى المسلم أن يجره ــ بأمر إلهي مطلق ــ أي أن يقدم له الأمن والحماية ويرافقه حتى يصل إلى مكانه الآمن .

وتأتي عظمة السياق القرآني في قوله تعالى ﴿ .. ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ .. ﴾ بعد أن يسمع كلام الله (ﷻ) ﴿ .. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ . أي أبلغهم مأمنهم في الحياة الدنيا .. ومأمنهم في الاخرة بسماعه كلام الله (ﷻ) . وهكذا ؛ يتجاوز عطاء المسلم للمشرك [١٤] .. من أمن الدنيا إلى أمن الاخرة أيضا .. ثم يتركه لعقله .. فلم يشترط المولى (ﷻ) إسلام المشرك لتبليغه مأمنه .. فليس على المسلم سوى البلاغ ..

﴿ .. إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ .. (٤٨) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٤٨)

حيث ..

﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ .. (٢٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

أي ليس على المسلم سوى أن يُسمع المشرك كلام الله (ﷻ) فحسب .. وأن يبلغه مأمنه في الحياة الدنيا وفي الآخرة .. ثم يتركه .. فإن أسلم ــ هو بعد ذلك ــ وآمن بالإسلام (العهد

---

[١٤] من العظمة القرآنية أيضا في هذه الآية الكريمة السابقة عدم استخدام كلمة " كافر " بدلا من كلمة " مشرك " لأن الكافر لا يؤمن بوجود الله (ﷻ) أصلا .. بينما المشرك يؤمن بهذا الوجود .. ولكنه أخطأ في التوجه فقط لذا ففرصة إيمان المشرك أكبر منها من فرصة إيمان الكافر .

الحديث) .. فهذا حظه وقدره في تحقيق الغايات من خلقه .. وإن لم يؤمن فهذا هو محض اختياره .. وعليه تبعاته . فهل يوجد سمو في الأخلاق أعلى من هذا ..؟!!! ولهذا جاء قول الرسول الكريم (ﷺ) عن بعثته بالحديث المتفق عليه ..

[إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق]

كما لخص المولى (ﷻ) موقف الرسول الكريم في الرسالة الخاتمة بقوله تعالى ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾

(القرآن المجيد : الأنبياء {٢١} : ١٠٧)

ثانيا : **حرية الفرد في اعتناق ما يشاء من أديان ..**

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ ... (٢٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٦)

ثالثا : **لا وصاية ــ حتى للأنبياء ــ على إيمان الأفراد ..**

﴿ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ (٢٢) ﴾

(القرآن المجيد : الغاشية {٨٨} : ٢٢)

﴿ ... أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩) ﴾

(القرآن المجيد : يونس {١٠} : ٩٩)

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ .. (٤٨) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ٤٨)

[فإن أعرضوا : أي أعرضوا عن الإيمان / حفيظا : أي لست موكلا بهم لتحاسبهم على أعمالهم .. لأن الحساب هو مسئولية المولى عز وجل ..]

﴿ .. فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠) ﴾

(القران المجيد : الرعد {١٣} : ٤٠)

رابعا : التجرد من الهوى عند القيام بهذا البلاغ الإلهي ..

﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٥٦) ﴾

(القران المجيد : القصص {٢٨} : ٥٦)

وبديهي ؛ بمثل هذه المعاني لا يمكن أن يقوم انتشار الإسلام علي السيف بأي حال من الأحوال بل قام فعلا ــ ويقوم حتى نهاية التاريخ ــ على العقل والمنطق العلمي [١٥] . وبهذا تنحصر رسالة الرسل والأنبياء في الفكر الإسلامي في القيام بالبلاغ الإلهي والدعوة الأولى فحسب . أما استمرارية الدعوة .. فهي المسئولية الملقاة على عاتق كل مسلم قادر علميا بالقيام بها .. لقوله تعالى لرسوله الكريم ..

﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٠٨) ﴾

(القران المجيد : يوسف {١٢} : ١٠٨)

* * * * * * * * * * *

[١٥] مازلت اكرر ندائي إلى " المملكة العربية السعودية " .. لاستبدال السيف الموجود على علمها بكتاب مفتوح للإشارة إلى أن : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " .. لم تنتشر بالسيف كما يدعي الغرب علينا بهذا .. بل انتشرت بالعقل والمنطق العلمي من خلال القرآن المجيد .

الفصل الثاني

ورسالة إلى المتحاورين ..

كما رأينا ــ في الفصل السابق ــ أن الغرب لا يعرف معنى الدين (البلاغ الإلهي) كما لا يعرف معنى دور الدين في حياة الإنسان (تحقيق الغايات من الخلق) .. ولهذا يتخبط الغرب في تعريفه للدين حتى الان . **ولذا فإني أتوجه برسالتي هذه إلى المشتركين في ملحمة : " حوار الأديان " إلى ضرورة وحتمية الاتفاق أولا ــ وقبل البدء في الحوار ــ على تعريف الدين .. أي : ما معنى الدين (البلاغ) ..؟!!! وما هو دور الدين في حياة الإنسان (تحقيق الغايات من الخلق) ..؟!!! فلا يعقل أن يقوم حوار ما .. بين عقلاء في موضوع لا يعرفون له معنى ..!!! أو في موضوع لا يفهمون حتى عنوانه ..؟!!!**

وترجع أهمية تعريف الدين .. وتعريف دور الدين في حياة الإنسان بين الأطراف المتحاورة .. ***إلى أهمية معرفة رسالة الدين إلى الإنسان*** . فرسالة الديانة اليهودية / المسيحية كما جاءت في العهد القديم من الكتاب المقدس .. تتمحور حول مجرد رغبة الإله في خلق إنسان على هيئته ..

[(٢٦) وقال الله نعمل الانسان على صورتنا كشبهنا . فيتسلطون على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى البهائم وعلى كل الارض وعلى جميع الدبابات التي تدب على الارض . (٢٧) فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكرا وانثى خلقهم . (٢٨) .. (٣١) ورأى الله كل ما عمله فاذا هو حسن جدا ..]

(الكتاب المقدس : تكوين {١} : ٢٦ ــ ٣١)

وهكذا ؛ اغتبط " **الإله** " بخلقه للإنسان . ولكنه لم يكن يتوقع ــ أبدا ــ أن يكون هــذا الإنســان شريرا [١٦] ..!!! فندم على تسرعه في خلق الإنسان ..

[(٥) ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر على الأرض . وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هــو شرير كل يوم (٦) فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض . وتأسف في قلبه (٧) فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته . الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء . لأني حزنت أني عملتهم]

(الكتاب المقدس : تكوين {٦} : ٥ – ٨)

وكما نرى ــ من هذا النص المقدس ــ أن الإله قد ندم على قيامه بخلق للإنسان .. وملأ نفســه الغضب .. ولهذا يقرر محو الإنسان من على الأرض ومعه كــل الحيوانــات والطيــور ..!!! ويعلق عالم النفس الأمريكي **آريك فروم** [١٧] على هذا النص المقدس بقوله :

[بأنه لا مجال هنا للقول بشيء اخر سوى أن للإله الحق في تحطيم مخلوقاته . لقد خلقهم وهــم ملك له . ويصف الإله الشر الذي يرتكبه الناس بــ " **العنف** " ، بيد أن القرار الذي اتخذه الإلــه لا يمحو الإنسان وحده من على الأرض ، بل ويمحو معه الحيوان والنبــات أيضا . وهذا يبيــن لنا أننــا لسنا بصدد حكم يتناسب مع جــريمة معينة ، **بل إزاء أسف الإله الغاضب على فعلتــه التي لم ينتج عنها إلا الشر .]**

(انتهى)

ومن متناقضات الكتاب المقدس في هذا الشأن ؛ أن الإله لم يقر فعل الشر للإنسان .. بينما أقر فعل كل الشر لشعبه المختار (أي الشعب اليهودي) .. حيث دار العهد القديــم كلــه مــن الكتاب المقدس (أي الديانة اليهودية) حول إضفاء الشرعية الدينية على كل ما يقوم به الشــعب اليهودي (شعب الإله المختار) .. من إرهاب وإبادة وإجرام ــ أي قمة الشــر ــ فــي حــق البشرية جمعاء بصفة عامة (على اعتبار أنهم أغيار أو أمميين) .. وفي حق الشعب الفلسطيني بصفة خاصة .

---

[١٦] يوجد هنا اختلاف جذري بين الكتاب المقدس والقرآن المجيد .. فــ " الله " (ﷻ) خلق كلا مــن جــانب الشر والخير في الإنسان .. وجعلهما محل اختبار واختيار الإنسان .

[١٧] " الدين والتحليل النفسي " ؛ آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب . ص : ٤٢ .

أما رسالة الديانة المسيحية في العهد الجديد من الكتاب المقدس فتتمحور حول قبول **عيسى كإله فادي ومخلص (راجع كذلك الكتاب الرابع من هذه السلسلة)** .. أي الإيمان بفكرة " **الفداء والصلب** " . ***وفكرة الفداء والصلب هي فكرة موغلة في الأسطورة اللاواعية .. حيث تتلخص هذه الفكرة في نزول الإله من السماء إلى الأرض وتجسده في الصورة البشرية (أي في صورة : المسيح عيسى ابن مريم) . ليسمح الإله ــ بعد ذلك ــ للإنسان بأن يوسعه ضربا وركلا وأن يوسعه إهانة ولعنا .. كما يسمح " الإله " للإنسان بأن يقتله أيضا على الصليب*** [١٨] ***.. حتى يستطيع الإله أن يفتدي الإنسان وينقذه من بين براثن الشيطان ..!!! وليته أنقذه ..!!! وسنعرض لهذه التفاصيل في الباب الثاني من هذا الكتاب .***

فهذه هي رسالة اليهودية والمسيحية إلى الإنسان .. لا حكمة فيها لخلق .. ولا غايات فيها من وجود سوى المتعة (الكنيسة الأرثوذكسية) . فرسالة الديانتين اليهودية والمسيحية (والتي يحويهما كتاب مقدس واحد) للإنسان لم تتجاوز عن معنى ندم الإله وتسرعه في خلق الإنسان من جانب .. وخيبة وفشل الإله في إنقاذ الإنسان من بين براثن الشيطان من جانب اخر ..!!!

وإذا انتقلنا إلى معنى " **الآخرة** " من منظور الديانتين اليهودية والمسيحية .. فنجد أن النصوص الكتابية للدين اليهودي .. أي العهد القديم ــ وهي في نفس الوقت الجزء الأول من الديانة المسيحية ــ لا تقول بوجود اخرة صراحة للشعب اليهودي . لهذا لجأ اليهود إلى التلمود الذي قال بتناسخ الأرواح .. فقال عندما يموت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسد جنين يهودي اخر .

ويضيف التلمود ؛ أن أرواح اليهود هي جزء من الله بينما الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات . واليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا ، فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات ، ثم تذهب إلى الجحيم وتعذب عذابا أليما مدة اثني عشر شهرا ، ثم تعود ثانية وتدخل في الجماد ، ثم في الحيوانات ، ثم في الوثنيين ، وبعد كل ذلك تطهر لتعود إلى أجساد اليهود [١٩] .

---

[١٨] لا أود أن أزج بلفظ الجلالة : " الله " .. في مثل هذه الوثنيات الفكرية .. لذا فسوف اقصر الذكر على كلمة إله ــ كلما أمكن ــ بدلا من لفظ الجلالة " الله " الذي تبنته الكنيسة العربية في كتابها المقدس .. على الرغم من أن هذا اللفظ ــ أي الله ــ لا يوجد في الأصول الأولى للكتاب المقدس ..!!!

[١٩] وهو ما تقول به ديانات الهند الكبرى .. مثل الهندوسية والبوذية والجينية .. وغيرها . أنظر مرجع الكاتب السابق : " الدين والعلم وقصور الفكر البشري " . مكتبة وهبة .

أما النصوص الكتابية للدين المسيحي فقط (أي العهد الجديد) فليس لديها هي الأخرى مقولة حاسمة في هذا الشأن .. وإن وجدت فليست سوى اخرة ضبابية ومتردية [٢٠] لا قيمة لها ولا نفع فيها . ولهذا فالشعوب اليهودية والمسيحية هي شعوب مغيبة تماما عن واقع وجودها ومصيرها يدفعهم في هذا نصوص كتابهم المقدس .. والتي تؤدي بهم إلى محاولة النهل المادي من هذه الحياة الدنيا بأي ثمن وبأي وسيلة .. دون الاعتبار إلى أي قيم روحية أو أخلاقية أو مثل عليا (أنظر الكتاب الرابع من هذه السلسلة) ..!!! وليس أدل على هذا من قول الكنيسة الأرثوذكسية [٢١] :

[أن الله لم يخلق الإنسان لكي يعبده ويمجده .. بل خلقه ليجعله يتمتع بالوجود]

وبمحاولة بحث هذه الشعوب عن اخرة لهم (يدفعهم في هذا الفطرة البشرية) .. تلوح لهم في الأفق : " **العقيدة الألفية السعيدة** " .. وهي اخرة متردية لا يتجاوز زمنها عن ألف سنة أرضية .. يقول عنها المولى (ﷻ) في قرانه المجيد (العهد الحديث) ..

﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ [٢٢] وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦) ﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٩٦)

وفي هذه العقيدة الألفية .. يعود " **المسيح الإله** " إلى الارض للمرة الثانية (لاحظ عند مجيء " **المسيح الإله** " للمرة الأولى إلى الأرض .. قام الإنسان بقتله ..!!!) ليحكمها مع الأبرار من المسيحيين فقط .

---

[٢٠] " البعد الديني في الصراع العربي الإسرائيلي " ؛ نفس المؤلف . مكتبة وهبة .

[٢١] " سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء الثاني ، الطبعة الخامسة . ص : ٩ .

[٢٢] كما نرى في هذا النص الكريم أن القرآن المجيد يشير إلى العقيدة الألفية السعيدة بأكثر من ألف سنة قبل بدء ظهورها . فقد ظهرت هذه العقيدة في القرن السابع عشر على يد العالم التوراتي الإنجليكاني " جوزيف ميد " (Joseph Mead (Mede), a 17th-century Anglican biblical scholar) . حيث أهمل " ميد " الترجمة المجازية للكتاب المقدس التي طالما صاحبته ، واعتبر أن نصوص سفر الرؤيا .. تحمل وعدا حقيقيا أو حرفيا لمملكة الله والعودة الثانية للمسيح وحكمها لمدة ألف سنة (عن الموسوعة البريطانية) .

ولكن من شروط المجيء الثاني للإله إلى الأرض (كما يعتقد في هذا الشعوب المسيحية) : هو حتمية قيام الشعوب المسيحية (محور الخير) بإبادة الشعوب الإسلامية (محور الشر) ومحو الإسلام من الوجود [٢٣].. بالمعركة المرتقبة التي تعرف باسم " **معركة الأرماجدون أو الهرمجدون** " وذلك حتى يمكن للإله تأسيس إمبراطورية الخير وبدء الفترة الألفية السعيدة تحت حكم السيد المسيح المرتقب . وسنناقش هذه المعاني بالتفصيل في الكتاب الثالث من هذه السلسلة (المؤامرة / معركة الأرماجدون .. وصدام الحضارات) . **ومثل هذه المعاني تحتم فكر " صدام الحضارات " .. وليس " تكامل الحضارات " كما يحلم بهذا العالم الإسلامي المغيب أيضا ..!!!**

ثم ننتقل إلى الجانب الأخلاقي في الكتاب المقدس . ففي الحقيقة ؛ أن النصوص الكتابية للديانتين المسيحية واليهودية تدفع شعوبهما إلى الانهيار الأخلاقي . حيث يؤكد على هذا المعنى عالم النفس **سيجموند فرويد** [٢٤] **(وهو يهودي الديانة)** فيقول : **إن المثل والقيم .. كالعقل وتخفيف العذاب على الإنسان ، والأخلاق جميعها مهددة من قبل الدين المسيحي** . ولهذا فهو يعترض على ربط الدين بالأخلاق لسببين :

السبب الأول : أن الدين المسيحي يضع أسسا مهزوزة أشد الاهتزاز للأخلاق . ومن أشد الأمور إيضاحا لهذا الاعتقاد هو قيام الولايات المتحدة الأمريكية ــ شديدة الإيمان بالمسيحية ــ إثارة الحروب وقتل الملايين (بدون أي ضمير أخلاقي يذكر) لمجرد التخلص من مخزون سلاحها القديم .. وتجربة سلاحها الجديد .. بغض النظر عن ملايين الضحايا .. وبغض النظر عن حجم الدماء والالام التي تسببها للبشرية كناتج طبيعي عن هذه الحروب .

أما .. السبب الثاني : فقد رأي فرويد .. أن الاعتقاد الديني فى سبيله إلى الانحلال ، لذا فإن الارتباط المستمر بين الدين والأخلاق سوف يؤدى بالتالي إلى تحطيم قيمنا الأخلاقية ، عندما ينتهي الدين من حياتنا .

---

[٢٣] كما سبق وأن بينت أن : " انتهاء الإسلام .. لا يعني سوى الانتهاء الوجوبي للبشرية " .. طالما لن يبقى إلا الكفر . فليس هناك حكمة في بقاء مصنع قد صار كل إنتاجه تالفا .

[٢٤] سيجموند فرويد Sigmund Freud (١٨٥٦ – ١٩٣٩) طبيب أمراض عصبية نمساوي (يهودي الديانة) ، يعتبر أشهر علماء النفس وأبعدهم أثرا فى الفكر الحديث . أسس المدرسة التحليلية فى الطب النفسي (Psycho-analysis) . أكد على أثر اللاوعي والغريزة الجنسية فى تكوين الشخصية . أصيب بالسرطان حوالي عام ١٩٢٣ ومات به . أشهر آثاره : " دراسات فى الهستيريا : Studien ber Hysterie " (عام ١٨٩٥) و " تأويل الأحلام : Die Traumdeutung " (عام ١٨٩٩) . ولمزيد من تفاصيل رؤية فرويد للدين يمكن الرجوع إلى مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " . مكتبة وهبة .

وهنا نرى ؛ أن سيجموند فرويد قد وقع في خطأ مفهوم زوال أو انحلال الدين .. وهو ما يعنى التنكر للفطرة البشرية التي فطر الله (ﷻ) الناس عليها . وبديهي ؛ لفرويد كل العذر في هذا الخطأ نظرا لارتباط الفكر الديني لديه بفكر الأسطورة والخرافة .. وهو ما يعني أن هذا الفكر لابد وأن ينتهي اجلا أو عاجلا تحت سطوة العقل والعلم .. وهو ما يعني انتهاء الدين لديه .

• *سيكولوجية التدين / ودوافع الاعتقاد في الديانات الوثنية*

كما رأينا في مراجع الكاتب السابقة ــ وكما سنرى هنا في إيجاز غير مخل ــ أن الديانتين اليهودية والمسيحية تموجان بالخرافات والأساطير . وفي محاولة مبذولة من جانب الفلاسفة وعلماء النفس في تفسير ظاهرة قبول الإنسان التدين بمثل هذه الديانات الوثنية .. نبدأ بمحاولة " **سيجموند فرويد** " (أنظر تذييل ٢٣ السابق) في إيجاد تفسير مقبول أو معقول لهذه الظاهرة .

فسيجموند فرويد وجد أن الإنسان فى الجانب الواقعي كائنا عاقلا متعقلا ومنطقيا بشكل واضح ، بينما وجده فى جانب الديانة الوثنية كائنا فاقدا للعقل والمنطق معا . **لهذا رأى فرويد أن الإنسان يسهل عليه الاحتفاظ بالأديان الوثنية ، باعتبار أن الدوافع السلوكية للإنسان تجاه الدين تماثل الدوافع السلوكية للطفل تجاه أبوه ، وبهذا احتفظت البشرية بالمنهاج الديني الوثني كنوع من الامتداد للفكر الطفولي لدى الإنسان .. المماثل لفكر الأبوة .**

بينما يرى بعض علماء النفس المعاصرين ، ومنهم " **آريك فروم** " أن قدرة الإنسان على الاحتفاظ بالديانات الوثنية ، ترجع ــ فى الواقع ــ إلى أن الإنسان يملك " **القدرة على التبرير** " وأن هذه القدرة هى جزء من الطبيعة البشرية ، وبهذه الطبيعة يصبح الإنسان قادرا على قبول أشياء بعيدة عن الأمر الواقع ، أو بعيدة عن العقل [٢٥] بسهولة ويسر .

ولم يفهم كل من سيجموند فرويد ، واريك فروم .. معنى " **الفطرة الدينية** " لدى الإنسان على النحو السابق ذكره في الفقرة الأولى من الفصل السابق . وكما سبق وأن ذكرنا فإن المولى (ﷻ) قد قسم الفطرة الدينية لدى الإنسان إلى ثلاث فطرات أساسية تأتي كالتالي :

---

٢٥ " **الدين والتحليل النفسي** " ؛ **آريك فروم ، ترجمة فؤاد كامل ، مكتبة غريب .**

الفطرة الأولى : " الوعي الفطري بإدراك وجود الله / ووجود حيز للإله في النفس البشرية "
حيث يقول المولى (ﷻ) عن كيفية تكوين هذه الفطرة ..

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣) وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤) ﴾

(القران المجيد : الأعراف {٧} : ١٧٢ - ١٧٤)

والتوقف قليلا حول معنى هذه الايات الكريمة .. يرينا أن الإنسان يدرك وجود خالق له بالفطرة . أي أن الإنسان يدرك وجود الله (ﷻ) .. كما يدرك وحدانيته (ﷻ) .. حيث قام المولى (ﷻ) بزرعهما (الوجود والوحدانية) في داخل النفس البشرية منذ أن كان الإنسان طفلا في عالم الأرحام .. وقبل الميلاد . ولا سبيل للإنسان ــ فيما بعد ــ للتنكر لإدراك هذا الوجود الإلهي تحت زعم أو دعوى الغفلة أو اتباع الاباء المشركين ..

﴿ .. أَن تَقُولُواْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ .. أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ .. أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ .. ﴾ .

وهنا ؛ يجدر الإشارة إلى أننا إذا تبنينا معنى الدين بأنه الاعتقاد في إله خالق (كما جاء هذا في قاموس موسوعة كتاب العالم) .. فإن هذه الآيات الكريمة تشير إلى " **الفطرة الدينية** " لدى الإنسان .

الفطرة الثانية : التدين (أو الحاجة إلى ممارسة العبادة) .. بمعنى أن الإنسان مدفوع بالفطرة إلى القيام بممارسة عبادة ما .. لإله ما .. قد يدرك صفاته أو قد لا يدرك . أي عبادة لا تحديدية فيها . وبهذا تصبح الغاية النهائية من خلق الإنسان .. تقديم العبادة الصحيحة للإله الخالق (ﷻ) لهذا الوجود .. حتى يتحقق تناغم الإنسان ــ بالسكينة ــ مع باقي الوجود .

وممارسة العبادة (أو التدين) هي فطرة لدى الإنسان . فقد يدرك الإنسان وجود الإله الخالق ولكنه ليس لديه أية مشاعر نحو تقديم العبادة له . ***وممارسة العبادة يقبع وراءها دوافع***

فطرية ــ خفية ــ أخرى : .. منها الإحساس بالقرب من هذا الإله الخالق .. وهو ما يولد " الطمأنينة " الروحية للإنسان في هذه المعية الإلهية من جانب .. كما ينمي ــ هذا القرب ــ دوافع عمل الخير لدى الإنسان ويبعده عن عمل الشر .. من جانب آخر .

وتنتهي هذه المعية الإلهية في ذروة معانيها إلى " الحب المطلق " (والذي يقع تحت طائلته طيف معاني الحب المادية الأخرى) . ***وهو الحب الكامن في داخل النفس البشرية نحو الإله الخالق .. والذي يتألق في مظاهر مغايرة (حب البشر) تستر خلفها هذه الحقيقة أو هذه الفطرة .*** وتأتي هذه الفطرة أي " **فطرية ممارسة العبادة** " والتي تتمحور حول الطمأنينة وحب الإله الخالق في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) ﴾

(القرآن المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

وتجمع هذه الآية الكريمة بين كل من : (١) فطرة التدين .. و (٢) الغايات من الخلق .. على حسب قراءة حركة الحرف الأخير من كلمة " ليعبدون " بين السكون : " ليعبدونْ " .. أو الجر " ليعبدونِ " وكلاهما جائز . فمن منظور **فطرة التديّن (ليعبدونْ ــ أي بسكون النون)** فإن الإنسان سوف يقوم بممارسة عبادة ما من أي نوع (اعتمادا على إدراكه الفطري بوجود إله خالق له) . لا تحديد فيها لنوع الطقوس المؤداة . أما من منظور : **(ليعبدونِ ــ أي بكسر النون)** فإن الغاية النهائية من خلق الإنسان هو عبادة الله (ﷻ) الواحد الأحد .

وبهذه المعاني السابقة عن الفطرة البشرية .. يمكننا ــ الآن ــ إلقاء الضوء أو تفسير قبول الإنسان الإيمان بالديانات الوثنية .. والتي تموج بالنصوص الأسطورية والخرافية .. وعدم اتساقها مع العقل ومعطيات العلم الحديث .

• *نظرية الإحلال ..*

مما سبق يمكننا القول وبشكل مباشر .. أن (الإله) الوثن في هذه الديانات يكون قد احتل حيز الإله الحقيقي (أي حيز الله ﷻ) في نفس جموع وأتباع هذه الديانات (أي في النفس البشرية) .. وهنا يصبح تمسك الجموع بالإله الوثن والدفاع عنه ــ وبالتالي الدفاع عن الدين ــ

هو دفاع الإنسان الطبيعي عن إدراك وجود الله (ﷻ) .. بعد أن احتل الوثـــن مكـــان الإلـــه الحقيقي (هذا بفرض : جهل رجال الدين بهذه المعاني .. وليس خداعهم للأتباع والتغرير بـــهم) حيث يميل الكاتب إلى الاعتقاد ــ الذي يصل أحيانا إلى درجة اليقين ــ إلى أن رجـــال الديـــن اليهودي والمسيحي (الذين يعيشون بين ظهرانينا ويتكلمون العربية) يعرفون حقـــائق الأمـــور ويحجبونها عن الجموع المغيبة لأهداف شخصية متباينة .. منها الإبقاء إلى مكانتهم المقدسة وما يتبع ذلك ..!!! وبهذا ــ هم ــ يرتكبون أكبر عملية غش وتزوير في حق البشرية جمعاء ..!!!

ومن هذا المنظور .. يمكننا تعريف : [ظاهرة تعدد الأديان .. بأنها الظاهرة التي يحتل فيـــها " الإله الوثن " وعبادته .. حيز " الإله الحقيقي " وعبادته في داخل النفس البشرية .. وبـــهذا يصبح التمسك بالوثن والدفاع عن الدين هو التمسك الطبيعي بالإله والدين .. كما تقضي بذلك الفطرة البشرية] .

وهو ما يمكن أن يعرف باسم " نظرية الإحلال " .. أي إحلال " الإله الوثن " مكـــان " الإلـــه الحقيقي " في داخل النفس البشرية .

• *إدراك الأبدية ..*

وأخيرا نأتي إلى ..

الفطرة الثالثة : وهي " إدراك الإنسان أو إحساسه بأبديته " .. أي إنه باق وغـــير منتـــهي . وربما من أهم النصوص القرانية التي تعبر عن هذه الفطرة هو طبيعة خلقنا وارتباطـــها بـــالله (ﷻ) .. كما جاء في قوله تعالى مخاطبا الملائكة في شأن هذا الخلق ..

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُـــوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٧١ – ٧٢)

ويقع خلف قوله تعالى .. ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي .. ﴾ كل الفكر الصوفي (ابـــن عربي) .. وغير الصوفي أو الفلسفي (باروخ سبينوزا) الذي ينادي بوحدة الوجـــود .. وكـــل

من ينادي بالحلول (الحلاج) . وسبق الكلام عن هذه الاتجاهات الفكرية في مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " . ومن هذا المنظور ومن منظور البعث والجزاء في أكوان أخرى موازية سبق تعريف الإنسان بأنه :

" **ذلك الكائن الحي المدرك لوجوده وللوجود .. والذي يحتل *الحدود المشتركة (The Common Boundaries) لعدة عوالم مختلفة (أكوان موازية) تحدد ظهوره ومكانته في أي منها قوانين عليا (فيزيقية / ميتافيزيقية) ترتبط بسلوكه واعتقاده وحركته فيها*** [٢٦] . "

• " *الإيمان العاقل* " [٢٧] .. *ونظرة سريعة على الغايات من الخلق* ..

كما سبق وأن ذكرت ؛ أن الاية الجامعة الخاصة بالغايات من خلق الإنسان تأتي في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ [٢٨] (٥٦) ﴾

(القران المجيد : الذاريات {٥١} : ٥٦)

وتجمع هذه الآية الكريمة بين كل من : (١) فطرة التدين .. و (٢) الغايات من الخلق .. على حسب قراءة حركة الحرف الأخير من كلمة " ليعبدون " بين السكون : " ليعبدونْ " .. أو الجر " ليعبدونِ " . والعبادة هنا هي على نحو مطلق لا تخصيصية فيها .. وهنا يطفو دور " العقل " إلى السطح متمثلا في الغايات من الخلق ــ وإلا لما خلق العقل الإنساني على هذا النحو من القدرات ــ في قوله تعالى ..

---

[٢٦] " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " نفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

[٢٧] في مقابل " الإيمان غير العاقل " الذي تنادي به المسيحية واليهودية .. والديانات الوثنية الأخرى . مزيد من التفاصيل في الكتاب الثاني من هذه السلسلة . أنظر كذلك : " الدين والعلم وقصور الفكر البشري " لنفس مؤلف هذا الكتاب . مكتبة وهبة .

[٢٨] في المقابل تقول الكنيسة الأرثوذكسية : " إن الله لم يخلق الإنسان لكي يعبده ويمجده .. بل خلق الإنسان لكي يجعله يتمتع بالوجود " . [" سنوات مع أسئلة الناس " البابا شنودة الثالث ، الجزء الثاني ، الطبعة الخامسة . ص : ٩]

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ .. (٢٣) ﴾

(القران المجيد : الإسراء {١٧} : ٢٣)

وهو القرار الإلهي المباشر الذي ينفي حق الإنسان في التوجه بالعبادة إلى أي إله اخر .. غير " الله " سبحانه وتعالى . وربما كانت هذه المعاني .. تمثل جوهر " **لغز الوجود** " .. و " **الغايات من الخلق** " . هذا وقد سبق تعريف " لغز الوجود " بأنه البرهنة المطلقة على :

١. وجود الخالق المطلق للوجود .
٢. وجود القضية الدينية المطلقة .
٣. وجود الغايات من خلق الإنسان .
٤. حتمية تحقيق الإنسان لهذه الغايات .

ويمكن اختصار هذا التعريف (أي تعريف " لغز الوجود ") في عبارة واحدة فقط هي : " التعرف على الدين الحق من بين الديانات الوثنية " .. أو " التعرف على الإله الحق من بين الآلهة الزائفة " .

وسنأتي إلى مزيد من التفاصيل لهذه المعاني في الكتاب الثاني من هذه السلسلة (التحول في النموذج الديني / القران المجيد : العهد الحديث) . ولابد من التنبه إلى أن تغييب العقل في الأمور الدينية يقضي على الإنسان بشكل نهائي وقطعي .. كما جاء قوله تعالى .. في وصف الشعوب التي لا تعمل عقلها في القضية الدينية ..

﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ١٠ - ١١)

أي أن " الإيمان العاقل " هو المحور الأساسي للعقيدة في الفكر الإسلامي . ثم يأتي بعد الإيمان العاقل : " العمل الصالح " .. وهو محور اختبار وابتلاء الإنسان في هذه الحياة الدنيا .. إلى حد أن الموت والحياة لم يخلقهما الله (ﷻ) إلا لاختبار الإنسان في أعماله الصالحة .. كما يأتي هذا في قوله تعالى ..

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢) ﴾

(القرآن المجيد : الملك {٦٧} : ٢)

[ليبلوكم : ليختبركم]

والعمل هو فرض عين على كل مسلم .. بأمر إلهي قطعي كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥) ﴾

(القرآن المجيد : التوبة {٩} : ١٠٥)

والعمل الصالح في الفكر الإسلامي هو كل ما يعود بالنفع .. ليس على البشرية فحسب .. بل على كل ما هو قائم في الوجود من حيوان ونبات وجماد (البيئة) أيضا ..!!! . ويقترن الإيمان العاقل ــ في الفكر الإسلامي ــ دائما بالعمل الصالح . فلم يذكر الإيمان ولا مرة على طول القرآن المجيد إلا مقترنا بالعمل الصالح .. فلا يصح الإيمان بدون العمل الصالح ..

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) ﴾

(القرآن المجيد : طه {٢٠} : ٨٢)

والعمل الصالح من المنظور الإسلامي لا ينبغي أن ينقطع حتى في اللحظات الأخيرة من حياة الإنسان .. كما قال بذلك الرسول [٢٩] (ﷺ) ..

[إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ]

[الساعة : يوم القيامة .. أو اللحظات الأخيرة في حياة الفرد وقبل موته مباشرة / الفسيلة : النخلة الصغيرة التي تقطع من النخلة الأم ــ أو ما شابه من النباتات الأخرى]

* * * * * * * * * * *

٢٩ " مسند أحمد " حديث رقم ١٢٥١٢ . رواه هشام بن زيد / عن أنس بن مالك / عن رسول الله (ﷺ) . موسوعة الحديث الشريف ، الإصدار الأول ١,١ . شركة صخر لبرامج الحاسب .

الفصل الثالث

موقف الفكر المسيحي
من نصوص الكتاب المقدس

بديهي ؛ بعد العرض السابق لعلاقة الإنسان بالدين والتدين .. وإلقاء الضوء على طبيعة تدين الإنسان بالأديان الوثنية وموقف الإنسان منها على الرغم من وضوح هذه الوثنيات الفكرية بصورة لا تخطئها العين المجردة كما سنرى ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب .. يأتي دور مناقشة موقف الشعب المسيحي من نصوص الكتاب المقدس ..

فمن المعروف ــ من خلال الكتب المتخصصة ــ أنه مهما حاول المتخصصون في الدراسات اللاهوتية التوغل في نقد وفحص نصوص التوراة (أو الكتاب المقدس بصفة عامة) المتعارضة والمتناقضة مع بعضها البعض .. فإنهم يعزفون دائما عن التعمق في الوصول إلى أغوارها الحقيقية ، بل ويفضلون أن يطلقوا على ما يجدونه من ضروب التناقض تسمية : " **الشبهات** " أو : " **الصعوبات : Difficulties** " .. إذ ليس لديهم الرغبة الحقيقية في دراسة هذه الشبهات أو الصعوبات الدراسة الجادة في ضوء الحقائق العلمية الحديثة مع التسليم بنتائج هذه الدراسة . ويصل هذا الاتجاه أقصاه إلى الحد الذي **يأتي فيه القديس : " يوحنا ذهبي الفم " ليقول لنا عن المتناقضات الموجودة في الأناجيل** [٣٠] :

[أن ما يرى فى البشائر (أى فى الأناجيل) **من الفروق هو من أعظم البينات على صحتها لأنه لو كان هناك اتفاق تام فى كل الأمور لكان أعداء الحق يقولون أن الكتبة** (أى كتبة الأناجيل) **قد تشاوروا أولا واتفقوا على ما يكتبونه]**

---

[٣٠] " **حل مشاكل الكتاب المقدس** " **القس منسي يوحنا ؛ مكتبة المحبة ، ص : ١٥ . وسنعرض لبعض الأمثلة في الفصل التالي من هذا الكتاب .**

وهنا يمكننا أن نرى بوضوح أن القديس يوحنا ذهبي الفم يطلق كلمة " فروق " على " المتناقضات " .. كما يطلق على من لا يؤمن بهذه المتناقضات اسم " أعداء الحق " . وبهذا المفهوم يصبح وجود المتناقضات في الكتاب المقدس بيّنة .. ودليل صدق على صحته . وبالتالي لا جدوى ولا قيمة لمناقشتها مع أهل العقيدة . **وهكذا تطوع أخطاء ومتناقضات الكتاب المقدس في فكر العقيدة المسيحية إلى الحد الذي تصبح فيه ضرورة لازمة لصحة هذا الكتاب ودليل صدق عليه ..!!! واللاعقل في نصوص الكتاب المقدس هو أمر مسلم به .. إلى حد ظهور شكل ديني جديد من التصوف المسيحي يمجد كل ما هو مناف للعقل كسمة من سمات الحق الديني** [٣١] .

ويقول **موريس بوكاي** [٣٢] : " إننا لندهش عندما نرى ردود الفعل الطائشة من جانب المفسرين المسيحيين في **محاولاتهم المستميتة للدفاع عن الأخطاء والمتناقضات والأمور غير المعقولة بالكتاب المقدس** . إن بعض المتخصصين يضع يده على بعض الأخطاء والمتناقضات ولا يترددون في التعامل مع هذه المسائل الشائكة .. وبعضهم الاخر يمرون باستخفاف على هذه المتناقضات ويصرون على الدفاع عن النصوص كلمة .. كلمة .. **ويحاول آخرون أن يقنعوا الناس عن طريق التماس الأعذار لتبرير وجود هذه الأخطاء والمتناقضات بالكتاب المقدس باللجوء إلى مناقشات بعيدة عن الموضوع لصرف الانتباه عن صميم المشكلة على أمل أن ما يستحيل قبوله عقليا ومنطقيا .. سيتم نسيانه في خضم المعلومات المعقدة غير ذات الصلة بالموضوع** .

ومن جانب اخر ؛ فإننا نجد أن علماء اللاهوت في العادة يقبلون القيام بعمل مقارنات متعلقة بتاريخ وقوع بعض الأحداث خصوصا عندما يكون هناك اتفاقا بين الكتاب المقدس وبعض معطيات علم التاريخ (**History**) . ولكنهم تعوزهم الصراحة والاستقامة عند إجراء مقارنات بين نصوص الكتاب المقدس وبين حقائق العلوم الحديثة . **إن المتخصصين في الدراسات اللاهوتية يدركون أن مثل هذه الصراحة والاستقامة عند إجراء هذه المقارنات بين نصوص الكتاب المقدس وحقائق العلوم الحديثة ستؤدي بالناس لا محالة إلى الاقتناع بعدم صحة وبعدم مصداقية النصوص المقدسة اليهودية/المسيحية (Judeo-Christianity**

---

٣١ " حقائق وأساسيات الإيمان المسيحي " ؛ ر. ك. سبرول ؛ ترجمة : نكلس نسيم سلامة . مكتبة المنار . ص : ٧ (يوزع في المكتبات المسيحية فقط) .

٣٢ " التوراة والأناجيل والقرآن الكريم .. بمقياس العلم الحديث " د. موريس بوكاي . ترجمة على الجوهري . مكتبة القرآن . ص : ٥٤ / ٧٧ .

Scriptures) والتي لا يجرؤ الناس في الغـرب أن يعرضوا لها بالدراسة أو بـــالاعتراض عليها حتى هذا اليوم .

بل ويضيف الدكتور موريس بوكاي (نفس المرجع .. ص : ٣٢) بأنه يمكننا أن نرى فكر الأب : " دي فو " الذي ينتهي منه إلى أن دمج الخرافة والأسطورة مع الفكر الإلهي فـــي الكتاب المقدس .. هو تبرير مقبول من أجل تقوية وتدعيم الإيمان لدى الإنسان ..!!!

• *فكر النشأة والهروب من المواجهة / غسيل مخ الاتباع ..*

كان يلزم ــ هنا ــ التعرض للنشأة الدينية للطفل المسيحي .. وكيف تؤدي هذه النشأة إلـى عدم استقلالية الفرد الفكرية في المسائل الدينية . والهدف من هذا التعرض .. ليس فقط إلقـــاء الضوء على طبيعة الحوار المرفوض والمبتور ــ منذ البداية ــ مع الاخر .. بل إلقاء الضـــوء أيضا على طبيعة إيمان الاخر . وعندما أعرض لهذا الفكر .. فإني لا أتحرك من فراغ .. بـــل أعرض هذا الفكر ــ في إيجاز شديد ــ من واقع خبرة طويلة ومسبقة من دراسات .. وحوارات مبتورة ــ على مدار سنوات طويلة ــ مع شخصيات مسيحية مرموقة من جانب .. ومبشـــرين محترفين من جانب اخر . وسوف أقوم بعرض جانب من هذا الحوار في الكتاب الرابع من هـذه السلسلة (الحوار الخفي / الدين الإسلامي في كليات اللاهوت) .

ونبدأ أولا بالنشأة المبكرة للطفل المسيحي . فعن كتاب : " إرشاد الصغار .. إلـى الله [٣٣] " .. يقول الكاتب عن كتابه :

[هذا الكتاب سيساعدك على معرفة الله وفهم حقه . وسيعينك على أن تتعلم وتفهم عظمة الله وروعته واهتمامه بنا ، كما سيعلمك كيف تحب الله وتحيا بالقرب منه رغم أنك لا تراه]

وبديهي لا تثريب في هذا المنطق .. بل ومدخل جيد للإيمان . ثم يسهب الكاتب بعد ذلك فـــي تقديم : " الله " (ﷻ) بالمفهوم المطلق الذي لا خلاف عليه من الناحية العقلية والمنطقية .. مثل :

---

[٣٣] " إرشاد الصغار إلى الله : Leading Little Ones to God " ماريان سكولاند . ترجمة ميشيل جنـدي . مكتبة المنار . ونلاحظ أن المترجم قد استخدم لفظ الجلالة : " الله " الترجمة إلى العربية في مقابل الاسم النكـرة : " إله : God " . واسم الله ــ كما سبق وأن بينا ــ لا علاقة له بالديانة المسيحية .

- الله لا يقيده زمان ولا مكان ..
- الله موجود في كل الوجود ..
- الله عليم بكل شيء ..
- قداسة الله ..
- صلاح أعمال الله ..

وهكذا .. جميعها صفات متعالية لا خلاف عليها .. بل وتتعارض تماما مع المنظور الأسطوري والخرافي الموجود عليه فكر الإله وشكله في الكتاب المقدس .. ولكن لا يتم الإشارة إلى هذه المعاني الأسطورية للطفل في هذه السن المبكرة . وبهذا ينشأ الطفل على الإيمان بوجود الله عز وجل .. وبصفاته المثالية (أي كمالاته الإلهية) . وبديهي ؛ لا خلاف في هذا أو تناقض مع الفطرة البشرية . وهكذا ؛ تعتمد النشأة المبكرة للطفل المسيحي على تعميق إحساس الطفل بإدراك وجود الله (ﷻ) .. وبهذا ترتبط الديانة المسيحية في فكر الطفل بفكر وجود : " الله ﷻ " . وبهذا المعنى ينشأ الفرد المسيحي على الاعتقاد : في أن التشكيك في الديانة المسيحية .. لا تعنى سوى التشكيك في وجود الله (ﷻ) نفسه . وطالما وأن الطفل قد اقتنع عقلا وموضوعا بوجود الله .. فلابد ــ إذن ــ من أن تكون الديانة المسيحية نفسها ديانة صحيحة عقلا وموضوعا استنادا إلى الإيمان إلى وجود الله .. وذلك بدون الحاجة إلى الدخول في أي تفاصيل حول معاني المضامين الدينية الواردة في الديانة نفسها وخرافتها وأسطورتها معا . ومثل هذه النشأة تجعل الفرد المسيحي يعتقد في أن : " الدين مصدر التعريف بالإله .. وليس الإله هو مصدر التعريف بالدين " .

وبهذا المعنى يصبح الدفاع عن العقيدة والتمسك بها .. هو بمثابة دفاع الإنسان ــ الفطري ــ عن وجود الله (ﷻ) والذي يدرك الإنسان وجوده حق الوجود ..!!! ولم يدرك الفرد المسيحي أنه أبعد ما يمكن عن التوجه الصحيح إلى الله [٣٤] .. إذا ما علم يقينا بما جاء به الكتاب المقدس عن الصفات المتردية عن الإله .. وهو ما يتناقض ــ بشكل قطعي ــ مع ما وقر في نفسه من قدسية وكمال تعلمه في الصغر بشكل مستقل عن الكتاب المقدس ..!!!

---

[٣٤] تأكيدا على هذا المعنى .. ربما لا يعرف الفرد المسيحي (الناطق بالعربية) أنه عندما يتوجه بالعبادة إلى " الله " سبحانه وتعالى .. فهو في حقيقة الأمر يتوجه بالعبادة إلى إله المسلمين " الله " وليس إلى إله الديانة المسيحية " عيسى بن مريم " ..!!! حيث لا علاقة للمسيحية في أصولها الأولى بلفظ الجلالة الإسلامي " الله " عز وجل .

كما لابد من التنبه إلى أن إدراك وجود أو الاعتراف بوجود إله خالق .. لا يكفي إطلاقا لنيل الخلاص المأمول ما لم يكن توجه الفرد اليهودي أو المسيحي إلى الإله هو التوجه الصحيح .. أو هو التوجه الحق . فلابد من التنبه إلى أن عابد الأصنام هو شخص مؤمن بوجود إله خالق ــ لا جدال في هذا ــ ولكنه متوجه التوجه الخاطئ إلى الإله .. بلا أدنى شك ..!!!

وبعد هذا التقديم السابق ــ والمنطقي جدا ــ وتمام ثقة الطفل في صحة وجود الله .. وبالتالي صحة الديانة نفسها .. تقوم الكنيسة بتقديم : " **يسوع " ــ على استحياء ــ على أنه ابن الله .. ولكنها تشترط ــ على الطفل ــ أن معرفة " يسوع " لا تتم إلا بالإيمان أولا بالكتاب المقدس ككل ..!!!** حيث يقول الكتاب السابق في صفحة ١٢٠ .. تحت عنوان : " **كيف نعرف من هو يسوع ..؟** " :

" **إذا آمنا بالكتاب المقدس ، سيتحدث الروح القدس [٣٥] إلى قلوبنا .. ويخبرنا أن يسوع هو ابن الله وسنتأكد أيضا أنه مخلصنا** " (سنأتي إلى تفاصيل هذه المعاني فيما بعد) .

ومن طبيعة الإدراك الواعي للكنيسة بأسطورة وخرافة الديانة نفسها (هذا إن لم تكن هي نفسها غير واعية أو مدركة لهذه المعاني .. أي أساطير وخرافة هذه النصوص) .. كان عليها أن تقطع خط الرجعة على تفكير الفرد المسيحي فيما بعد تمام نموه ونضجه الفكري ..!!!

لهذا تقوم بتعويد النشء منذ الصغر .. على الإيمان بأن السلطات الكنسية (**The Church Authorities**) هي الجهة الوحيدة التي يمكن أن تقدم دائما الحلول لمشاكل الكتاب المقدس التي يمكن أن تواجه الفرد أو يتعرض لها في أثناء حياته . فتبين له أن الكنيسة هي الجهة الوحيدة (**The Only body**) التي تستطيع بمساعدة الروح القدس (**The Holy Ghost**) أن ترشد المؤمن إلى الرأي الصحيح في مثل هذه الأمور . وبالتالي فإن على الفرد المسيحي ــ دائما وأبدا ــ الإصغاء الكامل إلى ما كل ما تقدمه الكنيسة له من تبريرات وتفسيرات .. وعليه قبولها بلا مناقشة . كما وأن عليه أن يستبعد المنطق تماما في التفكير في النقد العقلي أو العلمي لما تقدمه الكنيسة له .. تحت دعوى أن الشيطان قد يدخل عليه من خلال هذا العقل أو العلم ليضل

---

[٣٥] **الروح القدس : هو الأقنوم الثالث من الثالوث القدوس المسيحي : " الآب والابن والروح القدس " .**

الفرد بالتبعية ..!!! **وهكذا ؛ تضع الكنيسة التعاليم الكافية لإبقاء عقل الفرد المسيحي حبيس داخل الكنيسة .. وإبقاء العقل مدركا فقط للمعاني التي تقدمها له الكنيسة .**

وبهذا المعنى ينشأ الفرد المسيحي على عدم الاستقلالية الفكرية في كل ما يتعلق بأمور العقيدة .. والأمور الدينية .. وعليه دائما أن يلجأ إلى الكنيسة ورجل الدين المسيحي لحل مشاكل الكتاب المقدس التي تعترضه . ولهذا تجد الفرد المسيحي يتجنب الحوار دائما في الأمور الدينية مع الاخر المسلم .. بل وغالبا ما يدعي بجهله بدينه (أي بالدين المسيحي) حتى يتجنب هذا الحوار .. بل ويتظاهر بأنه لا يعرف شيئا عن الدين على الرغم من علمك المسبق بأنه من المواظبين على حضور قداس الاحاد .. ومن المترددين على الكنيسة أيضا وبصفة دائمة ..!!!

ومن أوضح الأمور التي تعبر عن منهاج رفض الحوار .. ورفض المواجهة مع الآخر .. **هو ما قدم به البابا شنوده الثالث (بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية) .. في كلمته التي ألقاها في التلفزيون المصري في الجلسة الافتتاحية العامة : " للمؤتمر الإسلامي الثالث عشر .. التجديد في الفكر الإسلامي "** [٣٦] (حيث كان ضيفا شرفيا في هذا المؤتمر) .. بنصيحة (أو الحكمة) التي قال بها أحد آباء الكنيسة للرجل المسيحي .. أو لرجل الدين المسيحي بصفة خاصة وهي :

[إذا دعتك الظروف لأن تجلس بين مشايخ المسلمين فعليك أن تنصت ولا تتكلم .. وإذا سألوك فقل لا أعلم] .

وهو فكر أو مبدأ ــ كما نرى ــ ينطوي على رفض الحوار والمواجهة .. جملة وتفصيلا ..!!!

وهكذا تصبح هذه التربية المبكرة بمثابة نوع من أنواع : " **غسيل المخ : Brain washing** " المنظم .. لينشأ الطفل المسيحي على الخوف الشديد ــ والذي يصل في أحيان كثيرة إلى حد الفزع .. حتى على مستوى المنصرين (أي الذين يقومون بالدعوة المسيحية .. وأحيانا يطلق عليهم لفظ المبشرين) ــ في تحكيم العقل في القضايا والأمور الدينية الواردة في الكتاب المقدس .

---

٣٦ " المؤتمر العالمي الثالث عشر للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية " .. المنعقد في القاهرة في الفترة من ٣١ مايو حتى ٣ يونيو ٢٠٠١ .. تحت عنوان : " التجديد في الفكر الإسلامي " .

وقد رأى الكاتب مواقف الفزع هذه في عيون وحركات المبشرين المسيحيين في أثناء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية .. عندما كان يشير إلى نصوص القران المجيد عن بعد . **ومثل هذه النشأة الموجهة لم تقتصر على العامة فقط .. بل طالت أيضا رجل الدين نفسه ..!!! بمعنى أن عدم استقلالية الفكر الديني .. تعدت الفرد المسيحي العادي .. لتصل إلى رجل الدين نفسه .. حتى في المناصب العليا . فنجد أن رجل الدين لا يستطيع الإفتاء في أي موضوع من المواضيع العامة البسيطة إلا بعد الرجوع إلى المنصب الأعلى . ويحدث هذا في ندوات تليفزيونية عامة .. تناقش بعض قضايا الرأي العام .**

وبعد تمام نضج الطفل .. تأتي علاقة الجموع أو الأتباع (أي المستمعين) برجل الدين المسيحي .. حيث يلخصها لنا **الدكتور القس : " إكرام لمعي "** (رئيس المجمع الأعلى للكنيسة الإنجيلية بمصر .. ومدير كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة سابقا) في الآتي [٣٧] :

أن الخطيب هو قوام التعليم الديني (المسيحي) والمستمع هو النتيجة .. وأن الخطيب يسلب المستمع حقه الإنساني في أن يقدم رأيه وفكره .. كما يفقده القدرة على الحوار . ولهذا يخاف الخطيب على المستمع من الحرية الفكرية .. كما يرى أن الوعي الناقد يزلزل الأتباع . ولهذا **يصف السلطة الأبوية والتكنيك الخطابي بصفات كثيرة نذكر منها الصفات التالية ..**

- **الخطيب يعرف كل شيء والمستمع لا يعرف .**
- **الخطيب يفكر والمستمع لا يفكر .**
- **الخطيب يختار ويفرض اختياره والمستمع يذعن .**
- **الخطيب يتصرف والمستمع يعيش في وهم التصرف من خلال عمل الخطيب .**

وكما نرى ؛ هي رؤية قاصرة .. لا تنطبق إلا على الفكر المسيحي فقط . **وقد حاول السيد الدكتور القس ممارسة هذه البنود معي عند حواره معي (كما سنرى ذلك لاحقا .. حيث اعتقد سيادته بأني غير ملم بالديانة المسيحية وكذا التاريخ الإسلامي عند بداية الحوار) ولكنه فشل ..!!!** بينما في المقابل نجد أن المستمع المسلم العادي ــ وأركز على كلمة المستمع المسلم العادي ــ قد يكون أكثر فقها وعلما من الخطيب نفسه .. وله الحق كاملا في مناقشة الخطيب فيما يصيب أو يخطئ فيه . فالحرية الفكرية في الدين الإسلامي حتمية تفرضها طبيعة

---

[٣٧] عن .. " تجديد الخطاب الديني .. وأسئلته .. وإجاباتها " . مقالة .. بجريدة الأهرام في عددها رقم ٤٢٠٩٥ الصادر في : ٨ / ٣ / ٢٠٠٢ .

هذا الدين .. وكذا الغايـــات من خلق الإنسان كما نبهنا إلى هذا المولى (ﷻ) .. وكما ســـبق وأن بينا .

ولهذا يعترف السيد الدكتور القس إكرام لمعي بحرية الحوار في الدين الإسلامي حين يقول فـــي نفس المقال ..

[ما الذي جعل الرسول (يقصد بهذا محمدا ﷺ) يغير طبيعة الإنسان العربـــي ليتمكـــن الإسلام ، بهذا التغيير في أقل من قرن من الزمان أن ينشر ألويته على معظم العالم آنـــذاك ، لقد تم هذا العمل بمنهج الخطاب الديني الحواري الذي حفل به القرآن . فمنذ اللحظة الأولـــى التي ظهرت فيها دعوة الإسلام ركز القرآن على أن يجعل المسلمين يتفكـــرون فـــي الكـــون ويتدبرون واقعهم من أجل أنفسهم ، أي أنه وجههم لبدء الجدل مع الكون والطبيعة والآخرين وذلك ما ولد في المسلم قناعته تحرير نفسه من رق الجاهلية والانطلاق إلى تغيير العالم .]
(انتهى)

وهو ما يعني أن الإسلام قد ركز على تحرير الفكر البشري من أغلال وقيود الفكر الكنســـي . وفي الحقيقة ؛ إن مثل هذه المقالات ــ أو الفكر عن الدين الإسلامي ــ تثير استغرابي إلى حـــد كبير . فهو فكر لا أستطيع معه التمييز بين إيمان الكاتب الخفي بـــالدين الإســـلامي وبـــالقران المجيد .. وبين التفسير أو التأويل المغرض لآيات القران .

وعقب قراءتي لهذا المقال .. قمت بالاتصال بالسيد الدكتور القس (إكرام لمعي) عـــن موقف المسيحية من الحوار والتفكر (حيث لم يستشهد في مقالته إلا بالقرآن فقط) .. فكـــان جوابه في غاية من الغرابة والمراوغة معا .. حين قال لي : " لقد كان هناك حوار .. حتـــى رفع المسلمون المصاحف على أسنة الرماح " .

وهي حادثة لا علاقة لها ــ تماما ــ بالمسيحية أو بالتفكير . فقد حدثت هذه الواقعة عقـــب مقتل (الخليفة الراشد الثالث) " عثمان بن عفان " .. وبايع (انتخب) المسلمون من بعـــده الخليفة الراشد الرابع " عليّ بن أبي طالب " .. ولكن معاوية بن أبي سفيان ــ والي الشام في تلك الفترة ــ رفض خلافة " عليّ " بحجة أن " عليّ " لم يثأر من قتلة عثمان بـــن عفـــان . فخرج إليه " عليّ " لمحاربته ــ عند صفين على نهر الفرات ــ لتوحيد كلمة المسلمين . وكاد النصر يتحقق للإمام عليّ لولا لجوء عمرو بن العاص .. ومعاوية لخدعة تحكيم القرآن التـــي

أتاحت لمعاوية الإفلات بجيشه وتدعيم مركزه السياسي والعسكري في مواجهة الإمام علـــيّ . وقد بدأت هذه الخدعة برفع المصاحف على أسنة الرماح للاحتكام إلى القرآن بدلا من استمرار المسلمين في القتال .

فهذه هي الحادثة التي استشهد بها السيد الدكتور القس . فهي حادثة لا علاقة لها بالمسيحية على الإطلاق .. أو بالحوار بين الإسلام والمسيحية . فالسيد الدكتور القس يعتمد بشكل كبـير على جهل السامع ــ كما سبق وقال هو بهذا ــ بالدين المسيحي وبالتاريخ ليلـــوي الحقـــائق ويخدع المستمع ليصل إلى مراده . وقد تجلت معاني هاتين الآيتين الكريمتين ..

﴿ أَفَبِهَذَا الْحَـــدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (٨١) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ (٨٢) ﴾

(القرآن المجيد : الواقعة {٥٦} : ٨١ - ٨٢)

بشكل نبوئي غريب .. في أثناء حواري مع السيد الدكتور القس .

وأعرض ــ هنا ــ لمثال اخر أجده في كتاب : " **الكنائس الكاذبة** " والذي يهديه مؤلفـــه **وليد طوغان** [٣٨] إلى :

" **بطريرك كرسي مرقص الرسول .. بابا أقباط مصر .. إجلالا وعميق الاحترام** "

ثم يُصدّر الكاتب (وليد طوغان) كتابه ــ الكنائس الكاذبة ــ بالاية القرانية الكريمة التالية ..

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّـــهُ مَـــا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٢) لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِيـــنَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (٥٣) ﴾

(القران المجيد : الحج {٢٢} : ٥٢ - ٥٣)

---

٣٨ " الذين كفروا بالمسيح .. الكنائس الكاذبة " ؛ وليد طوغان . دار الخيال .

وهنا لا تستطيع التمييز بين إيمان الكاتب بهذه الاية على النحو الصحيح الذي تشير إليـــه .. أو جاعلها تشير إلى أن الكنيسة الأرثوذكسية التي هي وحدها الكنيسة الحق .. وكل ما عداها هـــي كنائس باطلة أو هي كنائس الشيطان .

فإذا كانت نية الكاتب هو التأويل الأخير .. فإنه يكون قد قطع هذه الايات عن سياق ما قبلها ..

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ (٤٩) فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَـــهُم مَّغْفِـــرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٥٠) وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٥١) وَمَا أَرْسَلْنَا مِـن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ .. ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٤٩ - ٥١)

إلى اخره من الايات الكريمة السابقة . وكما نرى ؛ فإن هذه الآيات تشير إلى رســول الله (ﷺ) وإلى الوحي .. وفي محاولة الشيطان للتدخل في هذا الوحي . وهنا لم يتنبــه المؤلــف إلــى أن تأويله للايات الكريمة على النحو السابق يدخله ضمن طيف المعاني الخاصة بكلمة " **معـلجزين** " **والتي تشمل توقيف الآيات القرآنية عن معناها الصحيح** .. هذا إلى جانب المعاني الأخـــرى الدارجة لكلمة " **معاجزين** " مثل : مشاقين / مغالبين / معاندين / مثبطين .. إلى اخره . وهنـــا يشمل الكاتب معنى قوله تعالى .. ﴿ .. **أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ** ﴾ .. وأتمنى أن يفهم ويعـــي الكاتب هذا المعنى جيدا .

وحتى إن فهم مؤلف " **الكنائس الكاذبة** " مثل هذه الايات الفهم الصحيح وامن بها فقـــط دون أن يؤمن بباقي القران المجيد .. فإن هذا يدرجه ضمن طائفة عريضة من البشـــر التـــي يمكـــن أن تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض وما ينتهي إليه طبيعة هذا الإيمـــان إلـــى خســـران الوجـــود والمصير معا .. كما جاء هذا في قوله تعالى في قرآنه المجيد (العهد الحديث) ..

﴿ .. أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُـــمْ إِلاَّ خِـــزْيٌ فِـــي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾

(القرآن المجيد : البقرة {٢} : ٨٥)

وبهدف تأكيد الرؤية السابقة .. أي : الهروب من مواجهة حقائق المسيحية أسوق مثالا أخير من ضمن أمثلة كثيرة .. وحوارات مبتورة .. عن هذه المعاني التي عايشها الكاتب مع أصدقاء وزملاء عمل وكذا منصرين مسيحيين ورجال دين أيضا . فعقب صدور كتاب (الكاتب) : " **الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان** " .. جاء لي أحد الأصدقاء المسيحيين ـ بعد قراءته للكتاب ـ **وهو طبيب وجراح مرموق ومن كبار رجال الأعمال** [٣٩] **أيضا .. وهو متعجب أشد العجب من أن يكون هذا هو دينه ..!!!**

وسألني باستنكار غريب : هل يمكن أن يكون هذا هو الدين المسيحي الذي نؤمن به ..؟!!!

ولما أكدت له بأن هذا هو الدين المسيحي بدون مبالغة .. خصوصا وأن كل ما كتبته في هذا الكتاب .. موثق بنصوص مباشرة من الكتاب المقدس وبشرح الكنيسة ذاتها ..!!!

فسألني : وماذا عليه أن يفعل ..؟!!!
ولم تزد إجابتي له عن : ينبغي أن تحتكم إلى عقلك يا دكتور ..!!!

ولكنه أجاب بلهجة قاطعة بل وحاسمة أيضا (على الرغم من سنه وعلمه وثقافته) : **لا .. ولكن يجب على الكنيسة أن تجد لنا حلا ..!!!**

وطلب مني عدة نسخ من الكتاب (نظرا لبخله الشديد ـ من واقع تجربتي الشخصية معه في مجال البيزنيس ـ رغم أنه من كبار رجال الأعمال .. ومن ممولي الكنيسة أيضا) . وقام بتوزيع هذه النسخ ـ في أحد جلسات الاحتفال بعيد الميلاد ـ على كبار رجال الدين المسيحي **وكذا على " قسم مقارنة الأديان بكلية اللاهوت بالعباسية "** .. ليجدوا له الحل أو الرد على الكتاب المذكور .. كما أراد ..!!!

وقد أبلغني الطبيب الجراح المذكور ـ فيما بعد ـ بأن هناك من قال له من قسم مقارنة الأديان في كلية اللاهوت بالعباسية : أن هذا الكتاب كاد أن يؤثر على إيمانه بالديانة المسيحية .. فما بال الرجل العادي ..!!! كما وعده أحد قمم الدين (ولا داعي لذكر المنصب الرفيع جدا ..

---

[٣٩] **الطبيب الجراح هو : الدكتور / رفيق توفيق .. بالمستشفي اليوناني بالعباسية / القاهرة .. وحاليا أحد رجال الأعمال .. بعد أن اعتزل مهنة الطب تقريبا وأصبح من كبار رجال الأعمال في مجال الـ " Business " . ووافق على نشر اسمه عند الإشارة إليه .**

منعا للإحراج ..!!!) **بأن الكنيسة : سوف تقوم إما بالرد على هذا الكتاب .. وإما أن تقـــوم بتعديل أو تغيير ما عندها ..!!!**

فهذا هو ما حدث بالضبط ..!!! وإذا ما أخذنا بظاهر الأمور .. فإن الكنيســـة قـد لاذت بالصمت تجاه هذا الكتاب ــ **الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان** ــ أي هي لم ترد علـــى الكتاب المذكور .. كما لم تقم بتغير ما عندها ..!!! ولكن إذا أخذنـــا ببـــاطن الأمـــور ؛ فـــإن الكنيسة قد لجأت إلى الرد غير المباشر .. أو ما يمكن أن يعرف باسم الحوار الخفي وهو مـــا سوف يراه القارئ في الكتاب الرابع : " **الحوار الخفي** " من هذه السلسلة . ولـــم يقصـــد بـــهذا الحـــوار الخفي سوى إيهام جموع شعب الكنيسة فقط بالرد وهو الأمـــر الذي لا يعني ســـوى خداع الأتباع ..!!!

وأخيرا أشير إلى أن الكنيسة تحذر أتباعها دائما من قراءة النقد العلمي الخـــاص بالكتـــاب المقدس .. بل وتعتبره صورة من صور خداع الشيطان لإضلال شعب الكنيسة . فاستنادا إلـــى النص المقدس ..

[(٢٢) لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات وعجائب لكي يضلوا لو أمكـــن المختارين أيضا .]

(الكتاب المقدس : مرقس {١٣} : ٢٢)

يقول الدكتور القس إكرام لمعي [٤٠] :

[إذن المعركة هنا ستكون في مجال الفكر بقيام دعوة تضليل .. يحاول إبليس بها إضلال الأمم في العالم أجمع]

وبهذا المعنى تضمن الكنيسة محاصرة فكر الفرد المسيحي .. وجعله حبيسا دائما داخل كيانها أو في داخل جسم الكنيسة ..!!!

---

[٤٠] من يحكم التاريخ .. رؤية مسيحية " ؛ دكتور القس إكرام لمعي (رئيس المجمع الأعلى للكنيسة الإنجيليـــة بمصر .. ومدير كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة سابقا) . دار الثقافة (ص : ١٧٨) . أنظـــر كذلـــك الكتـــاب الرابع من هذه السلسلة : " الحوار الخفي / الدين الإسلامي .. في كليات اللاهوت " لرؤية المسحاء الكذبة .

• ورفض الحوار .. حتى في المجال الأكاديمي ..

وننتقل الان إلى مثال اخر .. عن تجربة أحد الباحثين الإسلاميين عند قيامه باستكمال رسالة الدكتوراه الخاصة به .. **في فرع : " مقارنة الأديان " .. وتجربته مع الكنائس المصرية والتي قام بنشرها فيما بعد في كتاب يحمل عنوان** [٤١] : **" اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام "**. فقد وجد الباحث أن كثيرا من الأمور الخاصة بالفكر المسيحي غائبة عنه لنقص في المراجع المسيحية المتاحة .. وخصوصا التساؤلات الخاصة بفكر عقيدة الصلب والفداء . وهنا كان عليه أن يطرح تساؤلاته هذه ــ فى كتابة المذكور ــ عن علاقة خطيئة ادم بموت البشر ، فنجده يقول فى كتابه المذكور فى صفحة ٧٢ :

" والتساؤل الذي نطرحه هنا للنصارى هو : ما علاقة خطيئة آدم بموت البشر ؟ " [٤٢]

ونظرا لنقص المراجع .. فقد كان عليه أن يلجأ إلى الكنائس المسيحية لاستكمال هذا النقص .. حتى يمكنه إنهاء رسالته الجامعية .. إلا أنه لم يلقى أي تعاون علمي أو أكاديمي من الجهات الكنسية في هذا الخصوص .. كما لم يجد حتى أدنى ترحيب به .. وهو ما يناقض أبسط القواعد العلمية الأكاديمية والبحثية ..!!!

ومن مقدمة الكتاب المذكور .. نرى ***أن المؤلف لم يدخر جهدا فى البحث عن هذه الحقيقة أينما كانت*** ، وأينما وجدت عند قيامه بإعداد رسالته هذه ، ولكنه لم يحظ بالإجابات المنشودة عليها بعد دراسته للمؤلفات المسيحية المتاحة . كما كان يحاول جاهدا ــ فى كتابه هذا ــ استجداء علماء المسيحية للإجابة على هذا السؤال وعلى أسئلة أخرى مشابهة ولكن دون جدوى من أن يسمع أي إجابات منهم . لهذا نجده يقول فى صفحة ٢٠ من كتابه المذكور :

[... ولم أكتف بمقابلة أسقف عام الدراسات العليا والبحث العلمي بالكنيسة القبطية الذي يمثل طائفة الأرثوذكس ، فذهبت إلى مدير **معهد الدومينيكان** للدراسات الشرقية الأب **جورج**

---

[٤١] **" اليوم الآخر .. بين اليهودية والمسيحية والإسلام " ؛ د. فرج عبد الباري أبو عطا الله ، وتقديم الأستاذ الدكتور يحى هاشم حسن فرغل . والكتاب إصدار دار الوفاء ؛ الطبعة الثانية : ١٩٩٢ .**

[٤٢] **مثل هذه الأسئلة .. وأسئلة أخرى مثارة يجد القارئ الإجابة عليها في مرجع الكاتب السابق : " الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان " ؛ يطلب من مكتبة وهبة .**

شحاته قنواتي [٤٣] ، لأعرف رأى الكاثوليك فى بعض النقاط المثارة فى البحث ، ولم أجد مـــا كنت أنشد من المعرفة لدى الرجل ، ***بل وصرفني عن البحث فى علم مقارنة الأديان*** ، وأحالني إلى أحد الرهبان الفرنسيين فى المعهد وكانت اللغة عائقا دون حديث الراهب معي ..

وكانت صعوبة العثور على المراجع تشكل عائقا لي فى مواصلة البحث وسبر غور كثير مـــن النقاط المثارة فى البحث فى مجال المقارنة ، **فذهبت إلى دير سانت كاترين بجنوب ســـيناء ــ وهو دير تاريخي قرأت أنه يحوى الكثير من المراجع والمخطوطات ــ فذهبت بخطـــاب مـــن الكلية ولكن رفض القائمون على الدير والمكتبة أى عون علمي فيما يتعلق بالبحث ، إلى حـد أنهم لم يوافقوا أن يتحدثوا معي شفويا فى موضوع الآخرة فى التصور النصراني** ، وقفلـــت راجعا أبحث عن مصادر اليوم الاخر فى مظانه عند النصارى واليهود ، وبذلت قصارى جـهدي فى هذا الصدد . وأسجل أن عدم توافر المصادر **اليهودية** كانت عائقا لي عن البحث فى كثـــير من الأمور المتعلقة بالبحث ولقد بذلت كل ما أستطيع من جهد وحسبي ذلك] [٤٤]

وسلوك الدير هذا ــ في عدم تعاونه العلمي مع الباحث الإسلامي ــ ليس بمستغرب فكما سبق وأن ذكرت .. فإن قداسة البابا شنوده الثالث نفسه .. (بابـــا الإســكندرية وبطريـــرك الكرازة المرقسية) .. قد أقر رفض الحوار في كلمته التي ألقاها في التلفزيون .. في الجلسة الافتتاحية العامة : " للمؤتمر الإسلامي الثالث عشر .. التجديد في الفكر الإسلامي " .

---

[٤٣] الرهبنة الدومينيكانية ؛ وهى الرهبنة التي أسسها القديس دومينيك عام ١٢١٥ ، ويلقب المنخرطون فيـــها باسم " الأخوة الوعاظ " . وقد بدأت نشاطها أول ما بدأته فى مدينة تولوز بفرنسا ، وهى أول رهبنة كاثوليكيـــة أخذت على عاتقها التبشير بالعقيدة المسيحية . وقد تميز الدومينيكانيون الأولون بثقافة تخطت اللاهوت ، وإلـــى محاولة للتوفيق بين اللاهوت والفلسفة . ولكن كانت دعوتهم تتميز بالتعصب الديني ، حيث قاموا بدور إيجـــابي فى تشكيل أعضاء محاكـــم التفتيش .. وهي المحاكم التي قضت بإعـــدام وسجن وتعذيـــب المخـــالفين لـــرأي الكنيسة .

وعندما غزا نابليون أسبانيا عام ١٨٠٨ ، اعتصم القساوسة الدومينيكان بديرهم فى مدريد ، وعندمـــا اقتحمـــه نابليون عنوة أنكر القساوسة الدومينيكان وجود أى حجرات للتعذيب . ولكن عند البحث والتنقيب وجـــدها جنـــود نابليون تحت الأرض .. ممتدة لمسافات كبيرة تحت الدير .. وكلها مليئة بالمساجين .. وكلهم عرايا وكثير منـــهم معتوه من آثار التعذيب . ورغم أن القوات الفرنسية لم تكن تتميز برقة الشعور إلا أن هذا المنظر قد أثار شـــعور جنودها ، فأخرجوا المساجين وفجروا الدير بأكمله . فهذه هي مسيحية المحبة ..!!!

[٤٤] سبق مناقشة : " موضوع الآخرة في التصور النصراني " .. في مرجع الكاتب السابق : " البعد الدينـــي .. في الصراع العربي الإسرائيلي " ؛ مكتبة وهبة . وسوف نرى هنا ــ باختصار ــ جانب من هذا التصور .

وبديهي ؛ رفض الحوار لا يعني سوى علم أهل العقيدة ــ يقينا ــ ليس بضعف الحجة المسيحية فحسب .. بل علم أهل العقيدة بخرافة وأسطورة هذه الديانة أيضا ..!!! وبهذا المعنى ينطبق عليهم قول المولى عز وجل في قرانه المجيد (العهد الحديث) ..

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠)

[أولو كان : حتى لو كان]

والان ؛ لا يبقى لنا سوى تعميم ما سبق عرضه لا ليشمل الكنيسة الأرثوذكسية فحسب .. بل ليشمل باقي الكنائس أيضا . ومثل هذا التعميم لا يأتي من فراغ أو من واقع نظري .. بل يأتي من واقع خبرة الكاتب في أثناء إقامته في الولايات المتحدة الأمريكية .. ومن ضمنها : الكنيسة الإنجيلية البروتستانتية .. وكنيسة " شهود يهوه " .. والكنيسة المارونية .. وغيرها من الكنائس الأخرى ..!!!

ففي الواقع ؛ أن جميع الكنائس ــ بما في ذلك الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ــ ترفض الحوار على نحو قاطع .. **حتى وإن تظاهروا بقبول الحوار ــ وهو ما يمارسه الفاتيكان الآن مع الأزهر الشريف ــ فإنهم يقصرون الحوار على " السلام " فقط . وهو منظور يحوي في جنباته كثيرا من الخداع والتضليل .. على الرغم مما يتسم به ظاهره من مفهوم حضاري ..!!!**

* * * * * * * * * * *

الفصل الرابع

موقف الإنسان من الحقيقة المطلقة ..

من أهم الأمور التي تؤخر اعتقاد البشرية ــ حتى الآن ــ في وجود دين واحد بدلا من الاعتقاد في أديان متعددة هو : عدم وضوح معنى الدين (على النحو السابق شرحه في الفصل الأول) .. وعدم وضوح معنى الحقيقة المطلقة . ففي الواقع ؛ يكاد يكون هناك اتفاق ضمني وتام بين معظم اتباع الديانات المختلفة .. أن كل دين يملك جزءا من الحقيقة وليست كل الحقيقة . وهي رؤية يتبناها على وجه الخصوص علماء اللاهوت في الديانة المسيحية . ولبيان هذا المعنى سوف نعرض ــ هنا ــ إلى مثالين فقط من اراء علماء العقيدة في الديانة المسيحية . ونبدأ بمنظور **الدكتور القس** : " **إكرام لمعي** ".. الذي يعرض مفهومه عن الحق بقوله [٤٥] ..

[ينبغي إعادة تفسير مفهوم الحق .. فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملا . لكن الحقيقة أننا لا نمتلك الحق ولكن هو الذي يمتلكنا ، ونحن نعبر عن ما نفهمه من الحق . فالحق المطلق أكبر وأعظم من كل المفاهيم البشرية والتفسيرات الإنسانية . وإن كان كل دين كامل فعليه ألا يسلب حق الآخر في أن يردد نفس المفهوم . فكل جماعة تؤمن أنها تمتلك الحق لكن هذا لا يدعونا أن نفرض ما نملكه على الأخرين ، لكن نقبل الآخر على المستوى الإنساني]

(انتهى)

وبديهي ؛ كما نرى من هذا السياق أن الدكتور القس لم يقصد بالحق سوى الدين .. وإلا لما قال ***(فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملا ..)*** . ولكن عندما اتصلت بالسيد الدكتور القس إكرام لمعي وسألته : ماذا يقصد بالحق .. وهل انتهى إلى تعريف له ..؟! فكانت إجابته أنه لم يقصد بالحق سوى : " الله " سبحانه وتعالى ..

---

[٤٥] **مقالة : " عن .. تجديد الخطاب الديني .. وأسئلته .. وإجاباتها " . جريدة الأهرام في عددها رقم ٤٢٠٩٥ ؛ الصادر في : ٨ مارس ٢٠٠٢ .**

ولم يقصد به الدين .. وبهذا تناقض الدكتور القس مع مقالته (.. ***فكل جماعة تعتبر أنها تمتلك الحق بشكل كامل لذلك فأي جماعة أخرى لا تمتلكه كاملا ..) .. فنحن ــ بداهة ــ لا نمتلك الله (ﷻ) ..!!!*** وبهذا لم يقصد الدكتور القس بهذه الإجابة سوى الهروب من المواجهة .. وعدم فتح باب الحوار معي ..!!!

أما الأنبا يوحنا قلته [٤٦] (المعاون البطريركي للأقباط البطريرك) .. فهو ينفي قدرة الإنسان على امتلاك الحق .. حيث يقول نيافته :

[ليس في إمكان أي إنسان أن يمتلك الحق المطلق ..] . وهو بذلك يعني " **غياب الحق المطلق من القضية الدينية** " .

وكما نرى ؛ فإن كلا من الرؤيتين قد ألقت بتعريف الحق (أو الحقيقة المطلقة) على عاتق الفكر الإنساني .. وليس على عاتق الفكر الإلهي صاحب هذا الحق . تماما ؛ كما سبق وأن ألقت المسيحية بتعريف الدين على عاتق الفكر الإنساني وليس على الفكر الإلهي صاحب الدين .

وقد سبق وأن بينت في كتابات سابقة بأننا جميعا نتفق على أن : " **الدين مصدره الله (ﷻ) وليس مصدره الإنسان** " . وبهذا المعنى تصبح " **الحقيقة المطلقة** " هي ملكية خالصة لله (ﷻ) الخالق المطلق لهذا الوجود وليس ملكية للإنسان . وبديهي ؛ أن هذه " الحقيقة المطلقة " يعلنها المولى (ﷻ) لعباده على لسان أنبيائه ورسله ليأخذوا بها . **وبناء على هذا ؛ فإن نفي وجود الحقيقة المطلقة .. إنما تعني واحدا من ثلاثة احتمالات أو كلها :**

- نفي لقدرة الله (ﷻ) على ملكية الحقيقة المطلقة .
- نفي لقدرة الله (ﷻ) ــ في حالة ملكيته لها ــ على توصيلها لعباده .
- نفي لقدرة الله (ﷻ) ــ في حالة ملكيته لها وقام بإعلانها ولم يفهمها الإنسان ــ على خلق إنسان لا يستطيع استيعاب معنى الحقيقة المطلقة .

---

[٤٦] **مقالة : " الحوار الديني .. أسمى حوار " ؛ نيافة الأنبا يوحنا قلته (المعاون البطريركي للأقباط البطريرك) جريدة : " عقيدتي " .. في عددها رقم ٤٣٣ ؛ الصادر في ١٣ مارس ٢٠٠١ .**

وجميع هذه الاحتمالات تؤدي إلى معنى نقص القدرة .. أو النقص في الكمالات الإلهية .. وهو فكر مرفوض تماما .. فحاشا لله أن يتصف بمثل هذا النقص في كمالاته الإلهية ..

﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧) ﴾

(القرآن المجيد : الروم (٣٠) : ٢٧)

وفي قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ (٦) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨) ﴾

(القرآن المجيد : الإنفطار (٨٢) : ٦ - ٨)

[ما غرك : أي أخذك الغرور حتى تعصي الله سبحانه وتعالى]

وهكذا ؛ لا يمكن أن ننكر أو نتنكر لوجود الحقيقة المطلقة وإمكانية امتلاكنا لها .. لارتباط معناها وملكيتها بالفكر الإلهي وقدرته على توصيلها للإنسان مخلوقه . **ومن منظور الدين الإسلامي : " فإن الوصول إلى الحقيقة المطلقة هو غاية الغايات من خلق الإنسان " .. وهو ما يقابل : " الإيمان العاقل .. أو الإيمان المبني على العقل يدعمه في هذا المنطق العلمي والرياضي السائد في النظريات العلمية والرياضية المعاصرة " . ومن هذا المنظور ــ أيضا ــ قام الدين الإسلامي بنقل القضية الدينية بكاملها من الحيز النسبي إلى الحيز المطلق .. ومن حيز الاعتقاد إلى حيز البرهان .. أي إلى حيز القضايا العلمية الراسخة .. كما قام بتوحيد النظرة إلى الدين باعتباره دينا واحدا صدر عن خالق مطلق واحد .. كما جاء في قوله تعالى في قرآنه المجيد ..**

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ (١٣) ﴾

(القرآن المجيد : الشورى {٤٢} : ١٣)

ونعود مرة أخرى إلى كلمة : " **الحق** " .. فقد ورد ذكر هذه الكلمة (٢٢٧) مرة في القرآن المجيد بشكل مباشر .. حيث تأتي بمعان متعددة . وبديهي ؛ لن نذكر كل ما ورد حول هذه الكلمة من معان .. ولكن نكتفي ــ هنا ــ بذكر بعضها .. منها : (١) اسم من أسماء الله الحسنى .. أي أحد الصفات التي يتصف بها الله .. أي الحق سبحانه وتعالى . (٢) كما تأتي بمعنى الدين الإسلامي .. (٣) كما تأتي بمعنى القانون الطبيعي أو الفيزيائي .

ونبدأ هذه المعاني بقوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَآمِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً (١٧١)﴾

(القرآن المجيد : النساء {٤} : ١٧٠ - ١٧١)

وكما نرى فإن ما جاء به الرسول (ﷺ) هو الحق من الله (ﷻ) . كما وأن السيد المسيح هو ﴿ .. رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ .. .. ﴾ ومعنى : " وكلمته " .. أنه خلقه بالقدرة المباشرة أي بكلمة : " **كن فيكون** " أي أصبح واقع بمجرد أن وجد في الوعي الإلهي ..

﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢) ﴾

(القرآن المجيد : يس {٣٦} : ٨٢)

ولا تخصيصية هنا في معنى ﴿ .. وَرُوحٌ مِّنْهُ .. ﴾ سوى التأكيد على بشرية السيد المسيح على الرغم من خلقه هكذا بدون أب .. شأنه في هذا مثل شأن جميع البشر ..

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِن طِينٍ (٧١) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٧٢) ﴾

(القرآن المجيد : ص {٣٨} : ٧١ - ٧٢)

إذن طبيعة خلق البشر هي من نفخة من روح الله (ﷻ) [٤٧] . وتتأكد بشرية المسيح بشكل مباشر في قوله تعالى ..

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩) ﴾

(القران المجيد : ال عمران {٣} : ٥٩)

وتتفق المدرسة (المسيحية) التحررية مع الفكر الإسلامي في كون السيد المسيح رسولا وليس إلها [٤٨] . وترى هذه المدرسة أن يسوع كان إنسانا متميزا بالمثل العليا .. وأن إلصاق الألوهية به جاء نتيجة لمؤثرات خارجية يرجع أصلها إلى الديانة الهيللينية . كما أضافت المدرسة (ريماروس) أن يسوع لم يكن سوى شخص يهودي يميل إلى التحرر ولم يكن يعرف شيئا من التعاليم التي قام تابعوه بترويجها عليه فيما بعد .

ونعود لمعنى الحق مرة أخرى .. فنجد المولى (ﷻ) يصف القران المجيد بأنه الحق الصادر عنه (ﷻ) ولا علاقة لمحمد (ﷺ) بهذا الحق .. سوى البلاغ ..

﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥) ﴾

(القرآن المجيد : الإسراء {١٧} : ١٠٥)

كما يقترن معرفة هذا الحق بالعلم .. حيث لا يدرك هذا الحق ولا يؤمن به سوى العلماء ..

﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٥٤) وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ (٥٥) الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٥٦) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥٧) ﴾

(القرآن المجيد : الحج {٢٢} : ٥٤ – ٥٧)

[مرية : شك / عقيم : أي يوم لا ليلة له]

---

[٤٧] **بينما – في المقابل – يقول التلمود : أن أرواح اليهود فقط هي جزء من الله .. بينما أرواح غير اليهود هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات . أنظر تذييل رقم ١٤ السابق .**

[٤٨] **" المسيح والنقد التاريخي " ؛ القس أندريه زكي . دار الثقافة . صفحات : ١٢ ، ١٤ ، ١٧ .**

وهنا نرى ؛ أن الخالق المطلق لهذا الوجود يقطع بجهل كل من لا يؤمن بهذا الحق .. وليس في هذا تجني على الإنسان الملحد أو ذي الديانة الوثنية .. لأن الفكر الديني في الدين الإسلامي .. يأتي دائما مقترنا بالعلم والقوانين الطبيعية .. لهذا يأتي : " الحق " في الفكر القرآني أيضا بمعني القانون الفيزيائي .. كما جاء في قوله تعالى ..

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) ﴾

(القران المجيد : الحجر {١٥} : ٨٥)

ثم يأتي الوعد الحق للناس أجمعين .. في قوله تعالى ..

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) ﴾

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٥ - ٦)

ثم يأتي موقف الإنسان من هذا الحق (أي الدين الإسلامي) في قوله تعالى ..

﴿ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨) ﴾

(القران المجيد : الزخرف (٤٣) : ٧٨)

حيث يبين الاية الكريمة أن أكثر الناس يكرهون هذا الحق ..!!!

وأكتفي بهذه الايات التي يمكن أن توجز مفهوم الحق .. ووجود الحقيقة المطلقة من المنظور الإسلامي .. بينما في المقابل نجد أن الديانتين اليهودية والمسيحية لا تعترفان بوجود هذا " الحق " . وبديهي ؛ هذا ليس بمستغرب لطبيعة الأساطير والخرافات الواردة في النصوص المقدسة .. كما سنرى في الباب الثاني من هذا الكتاب ..!!!

* * * * * * * * * *

الفصل الخامس

الميلاد الثاني

والإله في الديانة " اليهودية / المسيحية "

حين انتخب الرئيس الأمريكي جيمي كارتر (١٩٧٧ - ١٩٨١) رئيسا للولايات المتحدة وصف نفسه بأنه : " **مسيحي مولود الولادة الثانية** " .. والمتتبع لشرّاح العقيدة المسيحية .. يجد أن الميلاد الثاني .. لم يزد معناه عن دخول الفرد المسيحي في الحياة الروحية حتى يكون له الحق في دخول ملكوت السماء (تماما .. كما يعني الميلاد الأول من أب وأم بشريين في دخول الفرد الحياة الدنيا) [٤٩] . وتبين لنا الكنيسة أن دخول الفرد في السماء بالميلاد الثاني يستلزم أن يكون الله أباه والكنيسة أمه . ويتدرج ارتقاء الفرد الروحي بالميلاد الثاني في الفكر المسيحي على النحو التالي ..

الولادة الثانية ← الإيمان ← التبرير ← التقديس ← التمجيد

فكما نرى ؛ فإن الولادة الثانية [٥٠] .. هي بداية الحياة الروحية للفرد المسيحي .. وتترقى إلى الإيمان المبني على التبرير (أي تبرير نصوص الكتاب المقدس الأسطورية حتى يمكن قبولها والإيمان بها) وليس الترقي بالإيمان المبني على العقل (أي : الإيمان العاقل) . وينتهي الفرد من هذا الترقي إلى تقديس الإله (أي عيسى) .. ثم إلى تمجيده . وهو ما يعني أن يصل إيمان الفرد إلى إدراك وجود هذه الحضرة الإلهية أي إدراك وجود الله (ﷻ) .

---

٤٩ " السماء " ؛ مثلث الرحمات نيافة : الأنبا يوأنس . الطبعة الخامسة . رقم الإيداع : ٣٠٣٦ / ١٩٧٨ . ص : ١٨٧ .

٥٠ " حقائق وأساسيات .. الإيمان المسيحي " ؛ ر. ك. سبرول . ترجمة : نكلس نسيم سلامة . مكتبة المنار . ص : ١٩٣ / ١٩٥ .

ولكن .. ما هو هذا الإله ..؟!!!

والآن : هل الديـــانة المسيحية .. تسمح بتدخل العقل للإجابة على هـــذا الســـؤال ..؟!!! أو بمعنى أدق : هل المسيحية واليهودية تسمح بربط (أو مقارنة) الفكر الإلهي كما يصفونـــه بشكل مطلق .. بما جاء وصفه في الكتاب المقدس ..؟!!! والإجابة على هذا الســـؤال هـــو : بالقطع لا ..!!! فالمسيحية لا تسمح بمثل هذا الربط أو المقابلة إطلاقا . كما لا تسمح أيضـــا بتدخل العقل ــ على وجه مطلق ــ للإجابة علـــى مثـــل هـــذا الســـؤال .. وعلـــى الأســـئلة المشابهة ..!!! فالفرد المسيحي (أو اليهودي) عندما يتكلم عن الله (ﷻ) بشكل مطلق .. فإنه يسبغ على هذه الذات ما ينبغي أن تكون عليه من صفات الكمال الإلهي .. فـــإذا ذهبنـــا لرؤية هذه الصفات في الكتاب المقدس فلن نجد سوى صفات وثنية ومتدنية إلى حد بعيـــد .. تهبط بالإله من عليائه إلى حضيض الوحل .. الذي يصل إلى جعل " الإله " أحـــد الحيوانـــات الأسطورية .. أو الخرافية ..!!! وهنا يصبح الفرد المسيحي أو اليهودي .. أمام خيـــارين لا ثالث لهما :

- إما : " اللجوء إلى التبرير لقبول الإيمان بمثل هذه الصورة الخرافية للإله " .
- أو .. " الكفر بالعقيدة كلها .. وهو ما يعني إنكار وجود الإله " .

وسوف نذهب مباشرة ــ كما سنرى ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب ــ لرؤية مثل هـــذه الصفات عند قيامنا بمحاولة الرد على السؤال السابق عن ماهية هذا الإله من منظور الأديـــان الثلاثة المتحاورة ..

١. فهل " الإله " هو ذلك الوثن ــ أو الصنم ــ الحجري الماثل أمامه الشخص (تمـــاثيل المعابد في جميع الأديان ــ مثل الصليب .. المسيح .. العذراء .. إلى آخره ــ عدا الدين الإسلامي) ..؟!!!

٢. أم أن " الإله " هو ذلك الكائن الضعيف الذي اشتبك معه الإنسان في معركة بـــالأيدي والأرجل .. وهزمه الإنسان شر هزيمة .. بل وأسره الإنسان أيضا .. ولم يطلق ســـراحه إلا بشروط قد فرضها عليه وقبلها الإله تحت ضغط الحاجة والعجـــز (الفكـــر اليـــهودي والمسيحي معا في العهد القديم وهي المعركة التي حدثت بين يعقوب والإله) ..؟!!!

٣. أم أن " الإله " .. هو ذلك الكائن العجيب .. قليل العلم .. ضعيف الذكاء .. الذي يدرس مع الشيطان كل ليلة .. في التلمود اليهودي الذي خطه وكتبه حكماء اليهود .. ويبكي ويولول أثناء النهار .. ويلعن قدره .. ثم يذهب ليلعب مع الحوت بعد أن يفرغ من عمله في تصريف شئون الخلق (الفكر اليهودي) ..!!!

٤. أم أن " الإله " .. هو ذلك الشخص ــ أو الكائن ــ الذي أوسعه الإنسان ضربا وركلا وبصقا وجلدا .. ثم قتله الإنسان على الصليب (الفكر المسيحي) ..!!!

٥. أم أن " الإله " .. هو ذلك الخروف العجيب المشوه .. ذلك الخروف المذبوح الذي ينزف دما .. ذو القرون السبعة .. والعيون السبعة (الفكر المسيحي) ..!!!

٦. أم أن : هذا " الإله " ..

﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٤) ﴾

(القرآن المجيد : الحشر {٥٩} : ٢٢ – ٢٤)

[السماوات : في الفكر القرآني تعني .. الأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة .. بمفهوم أعم وأشمل مما جاءت به النظرية النسبية العامة (أنظر الكتاب الثاني من هذه السلسلة)]

وهو ..

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ .. (٢٥٥) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ٢٥٥)

فهو .. الله ..

﴿ فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١١) ﴾

(القران المجيد : الشورى {٤٢} : ١١)

[فاطر السماوات والأرض : خالقهما ومبدعهما وما بينهما / السماوات : كما سبق الأكوان الموازية أو الأكوان المتراكبة / يذرؤكم فيه : أي يخلقكم .. خلقا من بعد خلق .. وجيلا من بعد جيل .. ونسلا بعد نسل]

و هو ..

﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) ﴾

(القرآن المجيد : الإخلاص {١١٢} : ٢ - ٤)

والصمد : هو الأبدي ، اللا متغير ، وهو المقصود في الحوائج على الدوام المتفرد في الكمالات والوحدانية ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ .. وليس له مكافئ أو معادي . وهو ..

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى (٨) ﴾

(القران المجيد : طه {٢٠} : ٨)

ونكتفي بهذا القدر . ويمكن للقارئ رؤية أسماء الإله في الفكر المسيحي .. في الملحق الثاني من هذا الكتاب .

وبديهي ؛ بعد هذا العرض السابق .. لا يوجد عاقل واحد في هذه الدنيا ــ يملك الحد الأدنى من الذكاء البشري .. والذي يتجاوز ذكاء القرد كما نعلم ..!!! ــ لا يمكنه تحديد الخيار الصحيح من بين الخيارات الستة السابقة . فكيف يمكن أن يكون الخالق المطلق لهذا الوجود أي لهذا الكون اللانهائي .. والأكوان الموازية اللانهائية .. بمن فيها .. وما فيها من قوانين فيزيائية .. ومخلوقات .. على هذه الشاكلة الوثنية الذي جاء عليها ــ الإله ــ في الخيارات الخمس الأولى ..!!!

و هكذا ؛ فإن تحديد الخيار الصحيح ــ من بين الخيارات السابقة ــ هو موضوع لا يحتاج من الإنسان إلى مجهود فكري يذكر .. خصوصا إذا ما أخذنا بقليل من العقل (وليس كثير منه) في الاعتبار . وربما كان هذا هو الهدف الأساسي من هذا الكتاب . فلم أقصد بالحوار في هذا الكتاب سوى مخاطبة الاخر اليهودي والمسيحي . الاخر اليهودي والمسيحي .. الذي يريد

حوارا حقيقيا .. وليس كذبا وخداعا وتدليسا فحسب .. والوصول بهذا الحوار وبالقارئ إلى الحقيقة المطلقة .. التي ترقى كثيرا عن النظريات العلمية المرموقة ..!!! والتي مازال ــ بكل أسف ــ الاخر اليهودي والمسيحي معا .. يحاول التنكر لها .. والتهرب من مواجهتها ..!!!

ولهذا ينبه المولى (ﷻ) إلى أن القضية الدينية .. ومسألة الإيمان لابد وأن يلعب العقل والعلم فيها الدور الرئيسي .. حيث يأتي هذا المعنى في الدين الإسلامي في غاية من الوضوح .. في قوله تعالى ..

﴿ ... إذَا قِيلَ لَهُمُ إتَّبِعُوا مَا أنْزَلَ اللّهُ قالوا بَلْ نَتَّبِعَ ما ألْفَيْنَا عَلِيهِ ءابَاءنَا أوَ لَوْ كانَ آباؤهُمُ لا يَعْقِلونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ (١٧٠) ﴾

(القران المجيد : البقرة {٢} : ١٧٠)

وهو ما يعني ضرورة انتباه الفرد إلى العقل في القضية الدينية . كما لا يجوز الاستناد إلى الإيمان في غياب العلم .. حيث لا يجوز أن يقول الإنسان ..

﴿ .. حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلِيهِ ءاباءنَا أوَ لَوْ كانَ آباؤهُمُ لا يَعْلَمُونَ شيئاً ولا يَهْتَدُونَ (١٠٤)﴾

(القران المجيد : المائدة {٥} : ١٠٤)

لأنها غايات من خلق الإنسان ينبغي عليه تحقيقها . وأرجو أن يفرق القارئ بين الصياغتين السابقتين . حيث تمثل الصياغة الأولى الاعتماد على العقل .. والصياغة الثانية الاعتماد على العلم .

• *المعجزة .. وأسرار الكنيسة السبعة ..*

قبل البدء في عرض دور " المعجزة " [٥١] في (استكمال) إيمان شعب الكنيسة بالعقيدة المسيحية .. أرى من المفيد أولا عرض أسرار الكنيسة السبعة لبيان أين تقع المعجزة ــ مادة

---

[٥١] استخدم لفظ " المعجزة " في هذه الفقرة للدلالة على " خارق الأعمال " فقط .. ولم يقصد بها المعنى الحقيقي لها .. أي المعجزة التي تجري على أيدي الأنبياء والرسل .

هذه الفقرة ــ من أسرار الكنسية السبعة .. حيث يمكن تلخيص أسرار الكنيسة السبعة على النحو التالي [٥٢] :

(١) المعمودية : لكي ينال الفرد البنوة السرية والولادة الجديدة .
(٢) الميرون : أي الروح القدس يقدس ويثبت الإنسان في المسيح .
(٣) التوبة : الروح القدس يغفر الخطايا باستحقاقات دم المسيح .
(٤) الأفخارستيا : الروح القدس يحول الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح (عمانوئيل) السري .. أي أن الفرد يأكل جسد المسيح ويشرب دمه .
(٥) مسحة المرضى : الروح القدس يعطي شفاء جسدي وروحي .
(٦) الزيجة : الروح القدس يوحد بين الرجل والمرأة في جسد واحد .
(٧) الكهنوت : الروح القدس سلطان لإنسان بوضع اليد . أي مقدرة الكهنة على الشفاء بوضع اليد .

ثم ننتقل بعد ذلك إلى مادة هذه الفقرة .. وهي استكمال إيمان الفرد في الديانات الوثنية بالاستناد إلى بعض خارق الأعمال التي يمكن أن تجري على أيدي بعض الكهنة ورجال الدين مثل : معجزات الشفاء .. وإخراج الشياطين .. وخلافه . ومثل هذا الفعل يندرج تحت سرين (هما : مسحة المرضى والكهنوت) من أسرار الكنيسة السبعة . وقد سبق مناقشة هذا النقطة في كتابات الكاتب السابقة [٥٣] .. لكني سأكتفي هنا بذكر رفض السيد المسيح ــ تماما ــ لمثل هذه الظواهر .. كما رفض الاعتماد عليها كمبرر لقبول الإيمان بالعقيدة المسيحية .. حيث يأتي هذا المعنى في النص المقدس التالي ..

[(٢٢) كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم (أي يوم الدينونة أو الحساب) يا رب يا رب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة . (٢٣) فحينئذ أصرّح لهم أني لم أعرفكم قط.اذهبوا عني يا فاعلي الإثم]

(الكتاب المقدس : متى {٧} : ٢٢ - ٢٣)

---

[٥٢] " صاحبة الأسرار " ؛ مدحت عبد المسيح / مطبعة دير البرموس . يطلب من جميع المكتبات الأرثوذكسية .

[٥٣] " الدين والعلم .. وقصور الفكر البشري " ؛ نفس المؤلف . مكتبة وهبة . تحت بند : " الدين والباراسيكولوجي " .

[.. **اذهبوا عني يا فاعلي الإثم**] .. هكذا يقول لهم السيد المسيح .. على الرغم من المعجزات الكثيرة والتنبؤات التي تمت باسمه ..!!! أي لا قيمة للمعجزات التي تجري على يد رجل الدين لأنها في حقيقة أمرها إثم يجري على يديه .. بل ويرفضه السيد المسيح تماما . وحول معنى هذه الفقرات يقول التفسير التطبيقي للكتاب المقدس (ص : ١٨٩٣) :

[٧ : ٢١ – ٢٣ كشف الرب يسوع الناس الذين يبدون بكلامهم متدينين ، ولكن ليس لهم علاقة شخصية به . فالأمر المهم في يوم الدينونة ، إنما هو علاقتنا بالمسيح ، قبولنا له مخلصا ، وطاعتنا له . ويظن كثيرون من الناس أنهم متى كانوا صالحين في نظر الناس ، ويبدون متدينين ، فإنهم سيكافأون بحياة أبدية ، بينما في الواقع ، لن يجدي عند الدينونة شيء سوى الإيمان بالمسيح .]

(انتهى)

وكما نرى ؛ فالأمر لا يحتاج منا إلى تعليق .. حيث لا يوجد علاقة بين هذا التفسير وبين النص الإنجيلي . حيث يؤكد النص الإنجيلي السابق أن فاعل هذه القوة لا يؤمن بالمسيح فحسب .. بل يتحدث باسمه .. ويفعل هذه القوى باسمه أيضا .. أي أن رجل الدين يتمتع بإيمان راسخ مبني على رؤية مادية مباشرة . ولكنه إيمان مبني على فكر " **ألوهية المسيح** " ..!!! ومثل هذا الإيمان .. هو " **إيمان شرك** " مع الله سبحانه وتعالى .. ولهذا فهو إيمان يؤدي إلى هلاك رجل الدين نفسه .. لهذا يقول لهم المسيح : **[.. أنى لم أعرفكم قط .اذهبوا عني يا فاعلي الإثم]** .

وليس لرجل الدين المسيحي خصوصية في مثل هذه الأفعال .. ففكر المعجزات معروف تماما لدى الصوفية في الفكر الإسلامي أيضا .. ويعرف باسم : " **الكرامات** " . وقد تحدث الكرامات لدى الصوفي بشكل أعلى من حدوثها في الأديان الأخرى .. **ولكن تدرجها الصوفية تحت بند : " الاستدراج " . أي أن هذه الكرامات تعتبر نوعا من الفتنة التي يمكن أن تؤدي أو تقود صاحبها إلى الكفر .. أو التهلكة** . ولهذا يحرص الصوفي في أحيان كثيرة على إخفائها ولا يصرح بها إلا لمن يراها صدفة . ويتجلى هذا الفكر جيدا عندما سأل سليمان (عليه السلام) الجن أن يأتوه بعرش بلقيس ملكة سبأ قبل أن يأتوا إليه مسلمين ..

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ ٥٤ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠) ﴾

(القران المجيد : النمل {٢٧} : ٤٠)

فإذا قال سليمان (عليه السلام) عقب حدوث هذه المعجزة له : ﴿ .. هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ٥٥ .. ﴾ ..؟!!! فإنه لا يعني سوى أن المعجزة التي تجري على يد النبي إنما هي ابتلاء أو اختبار من الله (تعالى) قد تؤدي بالنبي إلى الحيرة والكفر (بالنعمة) .. فما بال الحال بالإنسان العادي ..

وبناء على ذلك ؛ فإن ربط الإيمان المسيحي (أو الإيمان بأي عقيدة أخرى على وجه العموم) بتحقيق خارق الأعمال على يد رجال الدين هو في ــ حقيقة الأمر ــ ربط زائف .. وإلا لما قال لهم السيد المسيح .. **[.. أنى لم أعرفكم قط . اذهبوا عني يا فاعلي الإثم]** . فلابد من التنبه من أن القضية الدينية هي قضية علمية أولا وأخيرا .. كما ولابد وأن يكون الإيمان " إيمان عاقل " .. وإلا ما ركب العقل في الإنسان على هذا النحو المنطقي .

والغريب كل الغرابة أن يصل تأثير الكنيسة على شعبها إلى حد جعلهم الاعتقاد في قداسة رجل الدين حتى بعد وفاته .. حيث يتم " تجليس " رجل الدين عقب وفاته على كرسيه .. بكامل ملابسه الكهنوتية .. ليمر عليه الشعب لينال البركة من جثته ..!!!

ويقول البابا شنودة الثالث (بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية) عن هذا التجليس :

---

٥٤ يقام البرهان على وجود " عالم الجن وعالم الملائكة " كنتيجة طبيعية للبرهان على صحة القرآن المجيد .. وهو ما تقضي به مفهوم : " المسلمة العلمية " .

٥٥ تمثل هذه الصياغة القرآنية فكرا رياضيا في الدوال غير المتصلة . حيث نجد في هذه الدوال : أن أدنى تغير في الانفعال (The Argument) يمكن أن يقلب قيم الدالة من الموجب إلى السالب (أي الانتقال من الشكر أو قمة الإيمان .. إلى الكفر) .

[هي فرصة يعطونها للناس لكي يودعوا البابا ويتبركوا منه قبل دفنه فيجلسوه على كرســـــي ، ولو أن البعض يرون أن هذا منظر مؤثر وصعب .. لكـــن القصـــد الأول أن يودعـــه النـــاس ويأخذون بركته قبل أن يدفن] [٥٦] ..!!!

ليتحقق فيهم قوله تعالى ..

﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُـــدُواْ إِلَـــهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَـــهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) ﴾

(القران المجيد : التوبة {٩} : ٣١)

* * * * * * * * * * * *

٥٦ " البابا شنودة وتاريخ الكنيسة القبطية " ؛ محمود فوزي . دار النشر هاتييه (ص : ٨٧) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧) أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨) ﴾

(القران المجيد : فاطر {٣٥} : ٥ - ٨)

صدق الله العظيم